صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية موقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك السنوي
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد

العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد الأول : ١٣ من ذي القعدة سنة ١٣٧٧ هـ — أول يونية سنة ١٩٥٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة المجلة

لسماحة السيد محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

أحمدك اللهم وأستعينك ، وأسألك التوفيق والرضا ، وأضرع إليك جل جلالك ، أن تجعل عملنا خالصاً لوجهك الكريم ، وأن تمدنا بقوتك وعونك ، وهداك ونورك ، وأن تشد على أيدينا بيدك . وأن تبارك مسعانا إليك ، حتى يكون قصدنا منك وإليك .

اللهم إياك نعبد ، وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين .

ربنا لقد أرسلت رسولك بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وأنذرت

الذين يريدون أن يطفئوا نور الإسلام ، بأن الله متم نوره ، ولن يخلف الله وعده .

ولقد حدثنا رسولك صلوات الله وسلامه عليه ، بأن الخير فيه وفى أمته إلى يوم القيامة ، وأخبرنا الصادق الأمين ، الذى لا ينطق عن الهوى ، بأن لله رجالا يبعثهم على فترات من الزمن ليعيدوا الأمة الإسلامية شبابها وعزمها ومجدها .

ونحن اليوم بنعمة من الله وفضل ، يظلنا عهد من تلك العهود ، التى تتفق من قضاء الله وأمره ، حينما يريد الله للتاريخ أن يتلون ، وللدنيا أن تتغير ، وللوكب الإنسانية أن يتطهر .

يظلنا عهد بطولة مؤمنة ، أعطيت توفيقاً منتصراً ، وإلهاماً وعزماً ، وإن لله فى عباده لنفحات ترتقب ، وإن لله فى خلقه لأياما ترتجى ، وإذا أراد الله تبارك وتعالى أن يجرى قدراً ، كما يقول شيخنا الأكبر محيى الدين بن عربى ، هيأ سببه ، وأعد بطله ، وارتضى عمله .

ومن هنا كانت يد الله المباركة القوية الغالبة ، على جبين الثورة المصرية ، ترعاها وتسدد خطاها .

وكان توفيق الله ويمنه هو الدرع الحصين الأمين ، الذى اعتصم به الرئيس جمال عبد الناصر فى وجه كل القوى الداخلية والعالمية ، التى ناصبته العداء ، ووائبته بالشر الملتهب الغضوب .

روى ابن عساكر فى التاريخ من حديث رجل من الصحابة قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : ليت شعرى ، كيف أمتى بعدى حين يصيرون صفين . صفاً يأتى نحورهم فى سبيل الله ، وصفاً عمالا لغير الله » .

وصدق رسول الله ، وهو الصادق الأمين ، وإنها لمعجزة كبرى من معجزاته صلوات الله عليه . لقد صرنا صفين ، صفاً يقدم نحره فى سبيل الله ، وصفاً يعمل لغير الله — ولم يحمد لله فى زماننا قلة ضئيلة — والله غالب على أمره ، ناصر لمن ينصره ، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين .

وما كان للصوف ، وهو روح الإسلام وهداه ، أن يتخلف [illegible]

إن رجاله وهم حماة الإسلام أبدا ، ليهرعون اليوم إلى صف الجهاد ، ليضعون نحورهم تحت قيادة رئيسهم ، فى سبيل وحدة العروبة ، وحرية الإســـلام ، وإعلاء كلمة التوحيـــد .

إن الإيمان بالله ، والجهاد فى سبيله ، هو عنوان التصوف ودستوره ، وإن نصرة القائمين بالحق ، الناصرين لحورهم فى سبيل الله ، لشعار تاريخى من شعائر الصوفية ، طالما غيروا به وجه التاريخ .

أيها الصوفى ، أيا كان مكانك من كوكبنا الأرضى ، هذه مجلتك لواء من ألوية الحمد نرفعه عالياً ، داعين به إلى الله ، على بصيرة ونور من هداه .

أيها الصوفى فى محرابك ، وعملك ، وجهادك ، لقد كنت دائماً أبداً مثلا عاليا فى خلقك ، وسلوكك ، وإيمانك ، وصفائك ، ونقائك ، وطهرك ، وحبك .

لقـــــد حفظت وحافظت على تعاليم دينك ، ومنهج نبيك ، وآداب أوليائك ، ووقفت شامخاً عملاقا ، تحارب بإيمانك العالى ، وبيقينك الثابت ، وبشخصيتك الطاهرة الأمواج والتيارات الإلحادية والانحلالية .

وصمدت حارساً لا تغلب على أسرار أوطانك وبلادك ، تدفع عنها قوى الشر ، بقلبك وروحك ووجدانك .

لقد كنت أبداً ، قلب هذا العالم الإسلامى النابض ، وروحه الناهض ، وخلقه القوى الأبىّ الرفيع .

فامدد يدك إلينا ، فقد جاءت أيام الله الطيبة المباركة ، وأظلنا عصر مؤيد ظافر ، امدد يدك إلينا لنتعاون على البر والتقوى ، ولننقذ الإنسانية من وهدتها ، ولنعيد للأخلاق العليا قداستها ، ولننهض معاً برسالة التصوف الإسلامى ، وإنها لرسالة الحق والخير والإيمان . إنها لرسالة الطهر والأخلاق والكمال .

رسالة الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله ، وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين .

محمد فريد وجدى

الصوفية فى الطريق

بقلم رئيس التحرير

كان التصوف بالنسبة لنشأة عقيدة الاسلام وانتشارها ، أشبه بالفدائى الذى يقوم بالمغامرات الخارقة فى استطلاع مراكز العدو ، وتحديد الطريق الذى يسير فيه الزحف الكبير .

وفى فترات نمو الإسلام ، كان الاشراق الروحى للعاملين على تقدمه ، يبلغ الأوج ويضيء السبل . وكان الابتكار هو طابع الحياة الروحية وكان الهام التصوف للجماهير عجيبا .

ولقد سار التصوف ، وسار الفقه كل فى طريقه يضيف إلى أمجاد الحقل وآفاق الروح جديداً بعد جديد .

وعندما هاجم دول الاسلام عدوان رهيب من الغرب هو حرب الصليبيين ، وعدوان رهيب آخر من الشرق هو حرب التتار ، صمدت فى المعركة قطعة نابضة من قلب العروبة هى مصر وسوريا . . لم تصمد شهرا ولا عاما ولا عشرة . . إنما صمدت طوال قرنين من الزمان ، فلما أذن الله لها بالنصر النهائى على التتار فى عين جالوت ، وكان ذلك منذ سبعة قرون لا تزيد ، عكفت الأمة الإسلامية على نفسها تضمد جراحها . . وقبل أن تسترد أنفاسها فاجأها غزو داخلى هو قيام الشيعيين واجتياحهم العالم الإسلامى . ولم تكن لهم طاقة روحية ، ولا طاقة عقلية . . ولكن كانت لهم عضلات فقط !

وكان من تأثير هذا الاجهاد أن همدت إلى حين النار المقدسة التى كانت تتأجج بها الصدور وأصيبت الجماعة الإسلامية بركود روحى .

وبعد أن كان من بين المسلمين أسماء تلمع فى علم التصوف ، وأسماء تلمع فى علم الفقه ، أخذ كل فريق يعيش على ما خلفه السلف ، يمد فى شروحه وهوامشه دون تجديد أو ابتكار . وإن كان الصوفيون قد اعتصموا برأيهم فى الكشف والاتصال وعلم الباطن واتخذوه طريقهم إلى الإيمان والعرفان وكذلك صنع الفقهاء إذ عكفوا على تفاسيرهم ونقولهم .

ولكن فرصة التصوف فى فترة «السكون» العثمانى كانت أسخى وأندى على الاسلام .

فقد ساعدت على تمكين الإيمان من نفوس كثيرة . . فلما دق جرس خطر آخر ، أكبر هولا من خطر الصليبيين والتتار . وهو التغلغل الاستعمارى . وجد يقظة فى شعوب الإسلام لمقاومته . وفى مناطق كثيرة ولاسيما فى وسط أفريقية أخذ الاستعمار ثوب التبشير . وهنا ظهرت جدوى التعبئة الروحية . فقد وفق المتصوفة فى أماكن كثيرة ، وردوا غارة التبشير على أعقابها ، ولم يجد المستعمر سندا يتكىء عليه .

فلما كانت الحربان العالميتان ، تأهبت شعوب الاسلام للتخلص من الاستعمار ؛ ودارت معارك كثيرة ، لم يكن التصوف بعيدا عنها ، وربما كان فى صميمها .

واليوم ، وهذه النهضة الشاملة لشعوبنا تطل علينا ، ونعيش فى محيطها ، نجد أعباء التصوف تزداد . . ونرى الوقت قد حان لكى يتابع رجال التصوف خروجهم من حالة « السكون » إلى حالة « الحركة » ، وأن يعرفوا وجه الله ، فى وجه الإنسان خليفته على الأرض ، وأن يبلغوا رسالة الهدى ، حيث يجب أن تبلغ .

وإن ظهور الجمهورية العربية المتحدة بقيادة مؤمنة صادقة العزم ، هى قيادة جمال عبد الناصر ، لتتيح لى حركات تحرير رقابنا من الأسر ، وارواحنا من رواسب الماضى لتضاعف من عزم الصوفية على مزيد من التمسك برسالتها الأولى التى نشأت عليها ، وباركها الله تعالت صفاته ، وتقدست ذاته .

[illegible] الصوفية اليوم [illegible] إلى [illegible] الصفاء ، والكمال .

ومن أعبائها التعرف على أحوال المسلمين حيث يوجدون فى أقصى الأرض وأدناها .

ومن أعبائها الهداية إلى الخير والمحبة وجمع الناس على كلمة الحق .

وهذه المجلة « الإسلام والتصوف » تجد أمامها الطريق إلى العمل طويلا طويلا ، ورسولها يجب أن يعلو ويعلو حتى يربط الصوفى فى بحار الصين بأخيه الصوفى فى بلاد [illegible] الصوفية . وشيخها [illegible] فى هذا البلد [illegible]

[illegible]

الجهاد الأكبر

للأستاذ الكبير السيد أنور السادات
السكرتير العام للمؤتمر الإسلامي
والسكرتير العام لجمعية التقريب

التصوف مورد من أعذب الموارد الإسلامية ، ونفحة ربانية من أطيب نفحاتها السماوية ، فهو في جوهره اتجاه قلبي الى فاطر الأكوان ، وايمان بعظمته ، وجهاد في سبيله ؛ ولن تستطيع النفوس أن تتجه بكلياتها إلى الله الا إذا قمعت شهواتها ، وكبحت جماح أهوائها وطهرت قلوبها من الشوائب والأدران .

والصوفية تاريخ طويل حافل بالنماذج العظيمة ملىء بالروحانيات المشرقة ، وقد ظهر منهم أعلام لهم آثار خالدة في خدمة الدين ، وفي اعلاء كلمة الله ، ومقاومة الماديين الملحدين ،

ولكن الإسلام تعرض لموجات متتالية من الدخلاء والمتعصبين ، كما تسربت اليه كثير من الاسرائيليات ، وعقائد الأمم القديمة حجبت كثيرا من أضوائه وشوهت كثيرا من محاسنه النقية ، فالتبس الحق بالباطل واختلط الضوء بالظلام ، ولولا أن قيض الله لدينه بعض العلماء الأعلام الذين نافحوا عن عقائده وحاربوا البدع والمنكرات وميزوا الأصيل عن الدخيل لالتبس الأمر على عامة المسلمين وتعرضوا للضلال المبين .

وكما تعرض الاسلام عامة لهذه الموجات الدخيلة التي حاولت تشويه تعاليمه النقية وتكدير مورده العذب ، تعرضت الصوفية خاصة لكثير من الفهم الخاطىء ، والأسرار المبهمة والانحرافات الملتوية فانصرف عنها بعض المسلمين وظنوا بأصحابها الظنون .

ان الصوفيه تقوم على أساس من تهذيب النفوس وتنقيتها من النزغات والشهوات والسمو بها عن الارتكاس في الموبقات ، والاتجاه بها إلى فاطر الأرض والسموات ، وبهذا يستحق الانسان أن يكون خليفة الله في أرضه ، وأن يحمل أمانته في خلقه ، وأن تتفتح بصيرته ونفحاته ، وأن يتصل به اتصال محبة ورضوان .

ولكن دس الدخلاء على الصوفية أخذوا منها صبغة شهواتهم ومورد الكدر ، والانحراف

مخالفين قوله تعالى . « اتبعوا من لا يسألكم أجرا » فأصبحوا يشترون بآيات الله وأيمانهم ثمنا قليلا ، ويقبلون على موائد الحكام والطغاة ، فان أعطوا منها رضوا ، وان لم يعطوا منها إذا هم يسخطون . فاتخذوا التصوف مطية الى الثراء ، والتصوف منهم براء .

واتجه بعض الدخلاء على التصوفية إلى الطقوس والرسوم والمظاهر المادية القائمة على لبس الرقعات والزهد فى الطيبات والانغماس فى القذارات وارسال اللحى واطالة الشعر وحمل المسابح الطويلة المرسلة والاكثار من الأحجبة والتعاويذ وجر السيوف الخشبية ، مع أن الإسلام قائم على النظافة الروحيه والجسميه ، فهو دين الطهارة . « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » فرض الإسلام على أتباعه التخلص من النجاسه البدنيه والروحيه وتطهير الأثواب ومواطن الركوع والسجود . ودعاهم إلى التطيب والتزين هاتفا بهـــم « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » مستنكرا منهم العزوف عما أنعم الله عليهم فى الدنيا من نعيم . وقال من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق . . وقد أثر عن النبى صلوات الله عليه أنه كان يطيب ويرجل ممـــ ، وقد أمر الله بالتحدث عن نعمته عليه فقال . وأما بنعمة ربك فحدث » . وقد ورد فى الأثر « ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » .

وهناك فريق ثالث من الدخلاء شوهوا التعاليم الصوفية عن جهالة أو سوء نية ، فأدخلوا فيها ضروب الأباطيل وشتى الأحابيل ليموهوا على العامة ويخدعوهم إليهم بمـــا يشبه الكرامات . فهم يلتهمون النيران والزجاج ويأكلون الثعابين ويمشون على السيوف ويدقون الطبول ويقرعون الدفوف ويمزقون الموسيقى الصاخبة ويتمايلون على أنغامها فى حركات راقصة هستيرية لا يقرها خلق ولا دين ولا قانون .

وهناك فريق رابع من الدخلاء حاول مزج الدين بالفلسفه ، والسياسه بالشريعه ، فزعم للدين ظاهرا وباطنا وادعى أن هناك شريعة للخاصة وأخرى للعامة ، وحاول إقحام التعاليم الهندوكية والفلسفة الاغريقية الوثنية فعقد من الدين ماسهل وصعب منه ماوضح وكاد يفتن الناس عن دينهم السمح القائم على الفطرة الطبيعية التى فطر الله الناس عليها (صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة) . وفاتهم أن الله تعالى أنزل شريعته كاملة على رسوله صلوات الله عليه وأمره بتبليغها كافة للناس كافة بل للانس والجن « يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . فان لم تفعل فما بلغت رسالته » . والرسول يناديهم أن من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار والله تعالى يقول « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »

وهناك فريق خامس يزعم أن الصوفية تقوم على الزهد الكامل فى الدنيا ، والانصراف التام عنها فى كسل وتواكل وخمول ليعيش الصوفى معيشة تشبه الرهبانية ، وقد أنكرها الدين الحنيف فنادى الرسول صلوات الله عليه بألا رهبانية فى الاسلام ، إن الاسلام دين كفاح ونضال وعمل . «فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله» . وهو دين عزة واستعلاء لا دين ذل وهوان . «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» . وهو دين طموح وتعمير لا دين خمول وتخريب . «الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا» .

وهناك فريق سادس وفريق سابع وثامن . . . إلى آخر ما هنالك من الدخلاء ، مما جعل كثيرين من المثقفين ينصرفون عن التصوف والمتصوفين لأنهم يحكمون على التصوف بما يرونه من الأدعياء والدخلاء .

ان الصوفية فى أشد الحاجة الآن الى جهاد عنيف قوى يرتكز على أسس جديدة .

الشعبة الأولى :

جهاد النفس وهو الأساس الأول للتصوف ، وهـدفه تطهير النفوس من الشهوات ، والقلوب من النزعات للتحكم فى أهواء النفس والسيطرة عليها وتوجيهها الى الخلاق العظيم فى أنقى صورة وأطهر كيان ، فان أبواب الله مفتوحة للسالكين ورحماته مبسوطة للتوابين الأوابين ، وهو القائل فى الحديث القدسى . «أنا عند حسن ظن عبدى بى ، وأنا معه اذا ذكرنى ؛ ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، ومن أقبل الى يمشى اتيت اليه هرولة» . وجهاد النفس هو الذى أطلق عليه الرسول صلوات الله عليه عند قفوله من احدى الغزوات اسم «الجهاد الأكبر» وهو بهذا الاسم جدير .

الشعبة الثانية :

تنقية الصوفية من البدع والخرافات التى تنتسب الى الدين وهو منها براء . وقد بدأت [illegible] الطريق للصوفية تنبه خلال هذا الاتجاه فطويت الطرائق من خلوات الربعين [illegible] وأبطلت الشعوذات والدجالين بعقوبات حكومة الثورة ومبادئها المصلحين . وبقى الآن [illegible] بوصلة الهداية ودليل المسلمين للملاحقة للقضاء على هذا الفساد الخلقى الذى

الشعبة الثالثة :

الجهاد لصد الدخلاء على المتصوفين من الجهلاء المتجرين باسم الدين المتحكمين فى عقول العامة والبسطاء بما يفترونه من أحاديث مكذوبة وروايات مخترعة وقصص مدسوسة على المتصوفين ، يكادون يرفعونهم بها الى درجة الألوهية أو ما هو منها قريب ، وليس هـــذا مقصورا على الأحياء فقط بل هناك عشرات رمثات الكتب المدسوسة على الصوفيين مليئة بالخرافات غاصة بالبدع والمنكرات كادت تطمس نور الصوفية الوضاء وتطمر مورديها العذب النمير .

الشعبة الرابعة :

مكافحة الجهل بين العامة الذين يحرفون من الدين جوهره النقى وروحه الشفاف وهو لا يتم علمهم إلا بنبش المرقعات واوساخ اللحى واسدال الشعور استدرارا للأرزاق وجلبا للنفوس ، وإزاء المنزلة السامية فى نفوس العامة وما يستتبعها من تبجيل وتقديس .

الشعبة الخامسة :

ابراز التعاليم الصوفية نقية خالصة من الشوائب وغير المأثورات الصوفى المبعث من التعاليم الدينية الصالحة ، كما وردت على لسان الرسول صلوات الله عليه وكما جلاها علينا جلة الصحابة والتابعين .

الشعبة السادسة :

مقاومة الموجات الإلحادية الوافدة علينا من شتى الجهـــات ومكافحة دعوات الفوضى والانحلال الخلقى التى تكاد تعصف بالناشئة وتقضى على الأمن فى نفوسهم وهى ركيزة مأمولة لوطننا الإسلامى العظيم .

هذه شعب عديدة للجهاد تحتاج الى تكتل القوى وتوالى الجهود وتمـــام الأهبة لأن الميدان فسيح والأعباء ثقيلة والعقبات متلاحقة والأعداء كثيرون .

ولكن الله وعد عباده المجاهدين الصادقين بالنصر العظيم ، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .

فى كل الشعب المذكورة يجب على علمائنا المتصوفين وعلى كل المتصوفين وعلى كل الجمعية الصوفية الأولى بالرعاية أن يعملوا ليتحرروا من الجهل والخرافة وليتحرروا من الفوضى

دين الفطرة

للاستاذ الكبير السيد فتحى رضوان
وزير الإرشاد القومى

الاسلام دين الفطرة . هذه أكبر خصائصه . بل هى جوهر حقائقه وليس فى أركانه التى يقوم عليها ، ولا فى عباداته التى يأمر بها ، ولا فى الطريق التى يدعو اليها ، ما يخالف ماطبع عليه الناس الذين سلمت نفوسهم من الالتواء ، وخلت من شوائب التعقيد . ولقد انتشر الاسلام ولا يزال ينتشر على أيدى دعاة لم يتكلفوا الدعوة إليه ، بل عاشوا بين الناس بأسلوبهم الذى اختاره الاسلام لهم ، فتأثر بهم الذين رأوهم من غير المسلمين

والثابت الذى يرويه التاريخ ويذكره ولا ينكره حتى الكارهون الشانئون لديننا . أن المسلمين من التجار الذين كانوا يمارسون تجارتهم فى شرق إفريقيا وغربها وأحيانا فى وسطها ، نشروا أينما ذهبوا العقيدة الاسلامية ، فدخل فيها أهل هذه المناطق وحداناً وزرافات ، لأنهم رأوا من هؤلاء التجار فى خاصة حياتهم أسلوبا من التسامح والتعاون . وتوفيقا بين التمسك بأحكام الدين ، وتقديرا لاعتبارات الدنيا .

وقد بقى الاسلام رغم ما أصاب أهليه وأكثر دوله من أسباب الضعف ودواعى الاضمحلال ، دينا واضحا لاتستأثر بمركز القيادة فيه ، ولا بوظيفة الهداية اليه ، جماعة توزع على الناس صكوك المغفرة ولا جوازات المرور الى جنات النعيم ، وبقيت مناهله العذبة هى هى منذ انبثقت انواره ببعثة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام منذ أربعة عشر قرنا خلت . فكتاب الله وسنة رسوله القولية والفعلية وإجماع الصحابة رضى الله عنهم هى الأسس التى تقوم عليها حياتنا العقلية والروحية نحن المسلمين .

فالقرآن لايحجب عن أحد مهما صغر شأنه بين أمة المسلمين ؛ وواجب تفهم آياته وتبين أحكامه والاستفسار عما غمض من ألفاظه أو معانيه واجب علينا جميعا ، فليس هو عمل نفقة ترد غيرها من طوائف المسلمين عن الفهم والتفقه والاجتهاد بعد التهيؤ له باسبابه ووسائله من الدرس والسير والاخلاص والخلو من أغراض الدنيا التي تلوى الأفهام وتفسد الأذواق .

ولا يزال المسلمون يقرأون القرآن فى مشارق الأرض ومغاربها فيرون الله سبحانه وتعالى لايذكر الإيمان الا مقرونا بالعمل ولا يذكر المؤمنين الا ويصفهم بأنهم العاملون . وقد جاءت أحاديث الرسول لتوثق صلة المسلمين بدنياهم وبالسعى فى مناكبها ، فما يروى أن رسول الله يقبل يدا ورمت فى العمل ويقول : تلك يد يحبها الله ورسوله ، وقال عليه الصلاة والسلام ، من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له ، وذكر للنبى عليه السلام رجل كثير العبادة فقال : من يقوم به ؟ قالوا أخوه ، قال أخوه أعبد منه .

ومر على النبى ﷺ رجل فرأى أصحابه رضى الله عنهم من جلد هذا الرجل ونشاطه فى الكسب والارتزاق ماجعلهم يتحدثون فيه ، قالوا : يارسول الله لو كان هذا فى سبيل الله ! فقال : إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان .

ولا يدعو الاسلام إلى [illegible] بل هو يدعو إلى العلم . وما يروى عن الرسول فى هذا المعنى قوله عليه السلام ، « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » ، « ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقا الى الجنة » . « وإنه ليستغفر للعالم من فى السموات ومن فى الأرض » .

وآخر الامر يدعو الاسلام إلى الحرية ويراها مناط المسلمين وسبيلهم الى الجنة ، ويراهم مسئولين عنها [illegible] ولا يقبل منهم عذرا فى قبول الضيم والاستكانة له ، أن يكونوا قد استضعفوا فى الله سبحانه ولقى ربهم .

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم ، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ، ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . »

فالذين يكفرون بالله ، مأواهم جهنم يتقلبون فى لظاها . والذين يقبلون ضيم الظالمين يشاركون أولئك الكفار فى هذا المصير ، ويقاسمونهم هذا العذاب .

وبعد . فالتصوف الاسلامى ، لابد أن تنعكس عليه حقائق الاسلام هذه . فيكون واضحا وضوح الاسلام ، بسيطا بساطته ، مؤكدا دعوته ، ناشرا فكرته ، داعيا تلاميذه وأتباعه إلى ما يدعو اليه الإسلام من العمل والعدل والسعى من أجل الرزق الحلال وكراهية الذل والضيم ، والزلفى الى الله بالجهاد فى سبيله ، بصوره التى دعا اليها القرآن ودعا إليها رسول المسلمين عليه الصلاة والسلام .

من روائع الأدب الصوفى

يقول العارف بالله السيد ابراهيم الدسوقى فى عزة النفس . ومقام التصوف

حرام على من وحد الله ربه ... وأفرده أن يحتدى أحدا رفدا
ويا صاحبى قف بى مع الحق وقفة ... لعمرت بها ربعا وأسيا بها وجدا
وقل لملوك الأرض تجهد جهدها ... فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

ومن الألحان العالية لرابعة العدوية

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر ... وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذى فوق التراب تراب

التصوف الإسلامي

رسالة التحرر والجهاد والقوة

للأستاذ طه عبد الباقي سرور

فى غار حراء ، على القمة السامقة من الجبل الأشم المبارك ، التقى الإنسان بالملك ، تلاقى جبريل أمين الوحى ، وسفير فاطر السموات والأرضيين ، بخاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، والمثل الكامل ، للنوع البشرى المختار المصطفى ، اجتمعا وتلاقيا ، لأمر قد قدر . . فقد تأذن ربك بأن البشرية قد بلغت نضجها ، وآن أوان كمالها ورشدها .

وفى غار حراء ، عقدت البيعة التاريخية ، بين الله جل جلاله ، وبين عباده الذين اصطفاهم لرضوانه ولقرآنه ، ولرسالته التى ارتضاها لنا منهجا وسلوكا يرفعنا إلى حظيرته وأنواره ، فنكون فى أرضه خلفاء ، وفى رحابه أحباب وأعزاء .

وفى غار حراء . أخذ علينا العهد الخالد . أن نعبد الله لانشرك به شيئا ، فاذا صفت عبادتنا وخلصت له سبحانه ، نقية طاهرة ، أفاض علينا من أمداده ومن عطاياه ونعمه ، ويسر لنا سبلنا ، وأجاب دعاءنا ، وأطلق اليسر والرضا فى حياتنا ، ومنحنا القوة والعزة والسيادة والنصر فى الدنيا ، وبوأنا فى الآخرة الجنات العلى ، حيث النعيم الذى لايفنى ، والحياة التى لاتبلى .

فى غار حراء حملت الأمة الإسلامية الأمانة الكبرى ، أن تقدم للدنيا ، رسالة الإيمان والتقوى ، رسالة النور والهدى ، رسالة الخير والحق والسلام ، وأن تحمى هذه الرسالة ، وأن تدفع عنها الجاهلية العالمية ، على تعدد ألوانها وصورها وأشكالها .

ومن يوم الغار أذن للدنيا أن تشهد أروع ألوان المثاليات الإيمانية ، وأكمل الصور الإنسانية . فقد انبثق من رسالة الإسلام وشب على هداها وترعرع على نورها .

رجال برزة كرام ، أطهار أصفياء ، علماء أتقياء ، يسعى نورهم بين أيديهم ، وتسبح الملائكة بالدعاء والاستغفار لهم .

رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، رجال يبيتون لربهم سجدا وقياما ويستغفرون بالغدو والآصال ، وتتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا .

رجال نعتهم ربهم بأنهم رضوا عنه ورضى عنهم ، وأحبوه وأحبهم ، وحسبهم خلودا وجلالا هذا الحب ، وهذا الرضا .

رجال منهم حارثة الأنصارى ، الذى وهب كشفا وجلاء ، حتى ليقول له رسول الله : كيف أصبحت ياحارثة ؟ قال : أصبحت مؤمنا . فيقول له وما حقيقة إيمانك : قال : لكأنى أرى عرش ربى بارزا ، والملائكة يطوفون حوله ، وأرى أهل الجنة وهم فى الجنة يتزاورون ، وأهل النار وهم فى النار يتعاوون ، فيبتسم الرسول ويقول : عرفت فالزم ، عبد نوره الله بالإيمان قلبه » .

رجال منهم حنظلة الذى يقول له الرســـول ، لو بقيتم على ما أنتم عليه عندى ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم » .

رجال منهم عمر بن الخطاب الذى يهتف وهو على منبره بالمدينة : يا سارية الجبل ، فيسمعه سارية بأرض العراق ، فيلجأ بجيشه إلى الجبل . وكان فى هـــذا الالتجاء النصر الأكبر .

رجال منهم على بن أبى طالب ، يفقد درقته يوم معركة حصن خيبر فيمد يده فينتزع بابا من أبواب الحصن ، ويجعله عوضا عن درقته ، فاذا انتهت المعركة قذف به ، فيعجز عشرة رجال عن حمله ، فيبتسم على ويقول : إنما هو عون الله ومدده .

رجال منهم ضرار الصدائى الذى يحمل يوم اليرموك على جيش الروم عارى الصدر من الحديد والزرد ، فيقال له ضبه ، رفقا بنفسك ياضرار ، فيبتسم ويهتف ، أرفقا بنفسى من الجنة ؟ .

رجال إرادتهم من إرادة الله ، وغضبهم من غضبه ، ورضاهم من رضاه ، لو أقسم أحدهم على الله لأبره . كما أخبرنا نبينا عليه السلام .

رجال فى تقواهم وفى علمهم وفى جهادهم وكمالهم . كأنبياء بنى إسرائيل ، وتلك مكانة لم تعط لأمة من الأمم ، ولم توهب لبشر .

رجال هم الذين أسسوا لنا التصوف الإسلامى وقعّدوا قواعده ، وأسسوا منهجه ، وأعلوا منابره . ورسموا آدابه ومثالياته ، رجال امتلكوا وحدهم أكبر القوى الروحية التى عرفها الوجود البشرى .

رجال يصفهم مستشرق اوربى ، هو العلامة — جيب — أذهله ما فى تصوفنا من جمال وكمال . فقال :

« إن التصوف الإسلامى صورة سامية لكل ما فى التاريخ من معانى الخير والجمال . وعلى هذا فإن الصوفى المسلم يستطيع أن يكون مغتبطا وواثقا بما يعتقد ، فهو يرى ويحس بأن روح دينه هى المثل الأعلى السخى السمح ، كأرفع ما يكون العلو والسخاء والسماحة ، وخصوصاً ، حين يراه معروضا باصطلاحات عصرية ساطعة متألقة » .

ونقد كشف — جيب — فى كلمته عن معنى دقيق يجب أن يتنبه له رجال التصوف جميعا ، وهو وجوب عرض التصوف الإسلامى عرضاً جديداً بمصطلحات جديدة ، توائم بينه وبين حياتنا الحاضرة ، ليأخذ مكانه القوى ، من وجودنا ، ويؤدى رسالته الخالدة فى حياتنا .

إننا اليوم أحوج ما نكون إلى تلك المثاليات الإيمانية ، وإلى تلك القوى الهائلة المدخرة فى الروحانية الإسلامية .

فالعالم الإسلامى يقف فى معركة عالمية حاسمة لعلها أخطر معاركه ، إنها معركته فى سبيل الحياة والبقاء ، فإما أن يبقى فى الأرض ، وإما أن يذرى كل خير وحق من الوجود .

والمعركة التى نخوضها متعددة الميادين ، متنوعة الآفاق ، إنها ليست معركة فى ميادين القوى المادية فحسب ، بل لعل أخطر ميادينها هى ميادين الروح والأخلاق والايمان.

إن رمادا وثنيا ينتشر اليوم فى آفاقنا ، وإن دخانا الحاديا قاتلا يتسلل إلى قلوبنا وعقولنا ، وإن بريقا من التحلل والانهيار يعشى أبصارنا ؛ ويخدع حواسنا ، ولا نجاة لنا إلا بأن نعتصم بقوانا الروحية ؛ وتراثنا الإيمانى ؛ ومثلنا الخلقية الصاعدة .

إننا فى حاجة إلى تعبئة روحية كاملة . تقينا وتحمينا من التيارات الجاهلية التى تواثبنا وتأخذ علينا منافذ الحياة .

وإن النفس البشرية لا تزال أكبر معجزة تمشى على وجه الأرض . وإن فى أعماقها لطاقات وقوى ؛ أكبر من كل قوى المادة وتفجراتها .

إننا فى حاجة إلى تحول نفسى حاسم . فى حاجة إلى الروح الصـــوفى القوى ؛ فالتصوف فى جوهره ؛ ارادة وعزم وتصميم وتربية وايمان . وعزة وقوة وسيادة واخلاق .

إنه عبودية مطلقة لله . وتحرر كامل من كل القوى الأرضية . شهوانية ومادية .

إنه جهاد للكمال والتفوق . ومعراج مثالى ؛ صاعد إلى الأفق النورانى الأعلى .

إنه تعبير عن الانسان . . الانسان الكامل الذى اصطفاه الله وارتضاه لخلافة الأرض ودعوة الحق . وحماية الايمان . . وحمل أمانة القرآن ؛ وجوار الرحمن ؛ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا » « وأوحينا اليهم فعل الخيرات » « والعاقبة للمتقين » ؟

طه عبد الباقى سرور

التصوف حقيقته وفائدته

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

يظن بعض الناس أن التصوف خيالات باطلة وأوهام فاسدة وأنه آراء معتلة أو خرافات مضلة وأنه يضر أكثر مما ينفع فهو يدعو إلى التواكل وترك الأســـباب ويزعم ذلك توكلا مع أن الله قد ربط بين الأسباب ومسبباتها وجعل لكل شيء سببا فمن ترك الأسباب لم يدرك المسببات ، والأمة التي لم تعرف أسباب العز والتقدم والقوة والمنعة ولم تأخذ بها محكوم عليها بالتأخر والبعد عن العزة والتقدم بقدر ما تجهل من أسبابها وتدع من عللها .

هؤلاء قد أخطأوا فهم التصوف وغمطوه حقه ، ووضعوا منه عاليا وبدلوا زينه شينا وقد جاءهم هذا من أدعياء التصوف الذين خاضوا فيه بغير علـــم ، ورأوا عليهم بعض ما ينكرون ، ولم يعلموا أن كل صنعة إن دخلها من ليس منها أفسدها وشوهها وبدل حقها باطلا وصلاحها فسادا .

وسنحاول هنا الكشف عن أصله وحقيقته وماذا كان يعني به العلماء المتقدمون المشهود لهم بالصلاح والتقوى ، ونبين أن هذه الحقيقة التي عناها هؤلاء العلماء الأعلام سامية كل السمو ، نافعة كل النفع ، وأنه لا غنى للفرد والأمة عنها وأن الأمة التي تفرط فيه يصيبها من الانحطاط والتأخر بقدر ما فرطت فيه ، بل إننا سنزيد ونرى أنه عمود الدين ولبه وأنه حقيقته وجوهره .

عرف المتقدمون التصـــوف بأنه الدخول في كل خلق سني ، والخروج من كل خلق دني .

وقال الكتاني : التصوف هو الخلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء .

ويقول بعضهم علم السلوك هو معرفة النفس مالها وما عليها من الواجبات ويسمى بعلم الأخلاق وعلم التصوف .

وقال ابن القيم فى مدارج السالكين ، واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم على أن التصوف هو الخلق .

وقال أيضاً إن هذا العلم مبنى على تفاصيل وأحكام الارادة ، وهى حركة القلب . ولهذا سمى علم الباطن كما أن علم الفقه يشتمل على تفاصيل أحكام الجوارح ولهذا سمى علم الظاهر .

وقال الجنيد : التصـــوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدواعى النفسية ، وحيازة الصفات الروحانية . والتعلق بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى على الأبدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرسول ﷺ فى الشريعة .

وإذن فالتصوف على ما يفهم ما قدمناه من كلام العلماء العارفين بحقيقته الممارسين له عبارة على علم تهذيب النفس الانسانيه والعمل على تخلى هذه النفس عن الأخلاق المذمومة وتحليها بالأخلاق المحمودة .

وهذا هو لب الشرائع وأسمى عمل النبيين والمرسلين كما قال الرسول « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وأى شىء أسمى من علم يحيل النفس الانسانيه الشريرة إلى نفس طيبة خيرة ، وأى شىء أسنى مما يطهر النفس من أدرانها ويحيها بفضائلها .

انه أغلى وأشرف من حجـر الفلاسفه ، وهو الإكسير الذى يحول النحاس إلى ذهب فيما يزعمون لأن قصارى هذا الإكسير أن يحول حجر دنيئا إلى حجر شريف ، أما هذا العلم فهو يحول نفساً دنيئة إلى نفس شريفه ، والفرق بين الإكسيرين يبين معه الفرق بين عملهما فشتان بين ما يعمل فى حجر وبين ما يعمل فى نفس إنسانيه وشتان بين ما يحيل النحاس إلى ذهب وبين ما يحيـل النفس الانسانيه الشريرة إلى نفس خيرة نافعه فى الدنيا ناجيه فى الآخرة .

التصوف إذن هو بمنزلة علم الأخلاق عنـد الفلاسفه الذى هو فرع الفلسفه العمليه التى تشمل الأخلاق ، وتدبير المنزل ، وتدبير المدينة الذى هو علم السياسه ، ومباحث التصوف ومباحث عـــــلم الأخلاق عند الفلاسفه كثيراً ما تتحد لاتحادها فى الغرض وهو تهذيب الأخلاق .

والتصوف يرى أن الغرض المقصود منه وهو اكتساب الأخـــلاق الفاضلة وتنحية

الأخلاق الرذيلة لا يتم بمجرد العلم ولا بقراءة الكتب وإنما يحتاج فوق ذلك إلى مجاهدة النفس ورياضتها على اكتساب الخلق الجديد ، ونبذ الخلق القديم ، وبالجملة يحتاج إلى رياضة شديدة ومؤنة صعبة كذلك علم الأخلاق عندالفلاسفة يرى ذلك قال ارسطوطاليس فى كتاب الأخلاق :

« شيء لا يغرب عن النظر وهو أن هذا المؤلف الأخلاقى ليس نظرياً محضا كما قد يكون الشأن فى كثير سواه ، فليس لأجل العلم بما هى الفضيلة أن أوغلنا فى هذه الأبحاث ، بل من أجل أن نتعلم كيف نصير فضلاء وأخيارا لأنه إن لم يكن كذلك صارت هذه الدراسة عديمة الفائدة أصلا ، فمن الضرورى إذاً أن نعتـــبر كل ما يتعلق بالأفعال لتتعلم إتيانها ، لأنها هى صاحبة السلطان فى التصرف فى خلقنا وفى اكتساب ملكاتنا كما قدمنا آنفا » .

وقال فى موضع آخر من الكتاب نفسه .

(١) إذا كنا قد حددنا قدر الكفاية فى هـــذه الرسوم والنظريات التى أتينا عليها ونظريات الفضيلة والصداقه واللذة ، فهل تظننا الآن قد أتممنا كل مشروعاتنا ؟، أم هل أولى بنا أن نظن كما قلته أكثر من مرة أن فى الشئون العملية ليس الغرض الحقيقى هو التأمل والعلم نظرياً بالقواعد علماً تفصيليا بل هو تطبيقها .

٢ ــ ففيما يتعلق بالفضيلة لا يكفى أن يعلم ما هى بل يلزم زيادة على ذلك رياضه النفس على حيازتها واستعمالها أو إيجاد وسيلة أخرى لتصيرنا فضلاء وأخيارا .

٣ ــ لو كانت الخطب والكتب قادرة وحدها على أن تجعلنا أخيارا لاستحقت؟كما يقول ديوغنيس ــ أن يطبعها كل الناس وأن نشترى بأغلى الأثمان وما يكون على المرء إلا اقتناؤها ، ولكن لسوء الحظ كل ما تستطيع المبادىء فى هذا الصدد ، هو أن تشد عزم بعض فتيان كرام على الثبات فى الخير ، وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقا للفضيلة وفيا بعهدها .

واستمداد التصوف من الكتاب والسنة ، وعمل الخلفاء الراشدين ، وتجارب النفس الانسانيه ومراقبتها .

وأن كل ما فيه من علاج للنفس وتربية لها ، والحمل عليها هو أصل فى الشريعة

تذكر لنا يوم ما يراه الصوفيه من إماتة النفس ورفضها إذا مالت إلى جانب الشر ، وتعجب هل لذلك أصل فى الشريعة ؟ فحضرنا ما قصه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،

وذلك أنه نادى الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال : أيها الناس لقد رأيتنى أرعى على خالات لى من بنى مخزوم فيقبضن لى القبضة من التمر والزبيب فأظل اليوم وأى يوم . فقال له عبد الرحمن بن عوف : والله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قصرت بنفسك ، فقال عمر رضى الله عنه : ويحك يا ابن عوف إنى خلوت فحدثتنى نفسى أنك أمير المومنين ، فمن ذا أفضل منك ، فأردت أن أعرفها نفسها .

وكما جاز ذلك فى الشرع حسما لمواد الكبر ، وقطعا لذرائع الإعجاب ، وكسرا لاسراف النفس ، وتذليلا لسطوة الاستعلاء ، يجوز أيضا لتطمين الجليس ، وإزالة الرهبة عنه روى قيس بن حازم أن رجلا أتى به للنبى صلى الله عليه وسلم فأصابته رعدة ، فقال له صلى الله عليه وسلم : هون عليك فانما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد .

وأما ألقوا كل وترك الأسباب وجعل ذلك دينا ، فليس من الدين فى شىء ، وكيف يخالج أحداً الشك فى ذلك وهو يرى الشريعة طافحه بالأمر بالأخذ بالأسباب والاستعانه بالشىء على الشىء .

يقول الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم .

والقوة ورباط الخيل من أسباب النصر ، وقد أمر الله بها وأكد فى رعايتها ، ويقول : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

ويقول « وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

ويقول يأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تعلمون »

وورد ان النبى ﷺ ظاهر بين درعين فى الحرب مبالغة فى التوقى والاخذ بأسباب الوقاية

فمن قال بخلاف ذلك فقد أخطأ وخطؤه عليه ولا يحسب خطؤه على التصوف والصوفية هذا هو التصوف فى نقائه وصفائه وروعته وبهائه لعمرى لقد نقيته من أدرانه وخلصته من شوائبه فبدا فى ابهى حلله وأكمل زينته

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك أن غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب ولا بكاء كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف ان تصفو بلا كدر وتتبع الحق والقرآن والدينا
وان ترى خاشعا لله مكتئبا على ذنوبك طول الدهر محزونا

محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

لجنة نشر الأصول الصوفية

تصدر قريبا

كتاب اللمع لأبى سراج الطوسى

أكبر موسوعة علمية فى تاريخ التصوف الإسلامى ورجاله ، وعلومه ، وآدابه ومناهجه ، ومقاماته ، ودقائقه ، ورقائقه ، وأسراره ، ورسالاته .

حققه وقدم له وعلق عليه

الأستاذان الدكتور عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقى سرور

بتأييد وتشجيع

من مشيخة الطرق الصوفية

الناشر : المكتبة العلمية ٦ شارع الجمهورية والألفى عمارة الطويل بالقاهرة

مجـــددو الاسلام

جمال عبد الناصر

روى أبو داود فى سننه عن النبى ﷺ ، إنه قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .

ويقول الحافظ الإمام ابن كثير : « ولا يختص بهذا الحديث ، الفقهاء والعلماء فحسب ، بل يشاركهم فيه ولاة الأمور ، العاملون على رقى أمتهم ، وسعادة وطنهم ، كعمر ابن عبد العزيز الأموى ، والمأمون العباسى .

ويقول العلامة الشيخ محمد عبده فى التعقيب على هذا الحديث الشريف :

﴿ . . . . وإنما كان المجددون يبعثون بحسب الحاجة إلى التجديد ونوعه ﴾ ويستعرض المجددين لدين هذه الأمة من الفقهاء وعلماء الكلام .

ثم يقول : « وهناك مجددون آخرون ، للجهاد الحربى ، بالدفاع عن الإسلام أو تجديد ملكه وإقامة أركان العمران فيه ، كالسلطان صلاح الدين الأيوبى ، الذى كسر جيوش الصليبيين وأجلاهم عن البلاد الإسلامية المقدسة . . »

وإنها لكلمات حق تشع بالنور والهدى ، فالمجدد الإسلامى ؛ الذى عناه الحديث الشريف ، ليس بالفقيه الغارق فى صحفه ، ولا بالواعظ السادر فى جدله ، ولا بالمتكلم الهادر بلحنه ، ولا بالداعية المحترف الذى يملأ الدنيا دويا أجوف ، وزمجرة رعناء .

إنما المجدد الإسلامى فى أروع صوره ، وأخلد ألوانه ، هو الذى يبعثه الله ويرضاه لقيادة الإسلام ، وتجديد دعوته وقوته وحياته .

هو الذى يأتى شعبه على قدر وميقات ، فيحيل الضعف قوة ، والفرقة وحدة ، واليأس أملا ، والكلام عملا .

هو الذى يحطم الاستعمار والطغيان ، ويحرر الأفكار والأوطان ويعيد البناء ، وينفخ فى الصور ، فإذا بالبعث تخفق راياته ، وإذا بالزحف المقدس تتلاقى صفوفه ، وتتوحد جموعه ، وتدوى طبوله ، منذرة بأن أمة القرآن ، قد نهضت من مستنقع الذل والهوان ، لتأخذ سبيلها إلى جبين الدنيا كريمة حرة ، فى عزتها عزة لدين الله ، وفى قوتها نصر لهديه ورسالاته .

إن المجدد الاسلامى ، هو الذى يقود أمته ليجتاز بها التيه ، وليقتحم بها أبواب التاريخ ، ويضع فى روحها طهرا ، وفى قلبها نورا ، وفى يديها أملا ، وفى فمها حديثا ساحرا حلوا ، عن القيادات والبطولات ، وعن أيام المجد المتلألئة التى أخذت تطرق الأبواب ، وتهمس فى الآذان ، بأن الزمان قد استدار ، وآن لحملة الرسالات الهادية ، أن يأخذوا مكانهم من قيادة القافلة البشرية وهداية الركب العالمى

* * *

إن المجددين الاسلاميين يبعثون دائما ، بحسب الحاجة إلى التجديد ونوعه ، يبعثون وقد زودوا بطاقات وكفايات تؤهلهم لمقارعة أحداث الزمان والمكان ، والدور التاريخى الذى أعدوا للقيام به .

وقد جاء مجددنا ، جاء مجدد الاسلام فى القرن العشرين ، كفاء أعظم دور قام به مجدد إسلامى . جاء ليحرر أكبر قاعدة من قواعد الاستعمار العالمى ، ليحرر نقطة الارتكاز وحلقة الحياة الكبرى بين المشرق والمغرب .

جاء ليحرر مصر ، ويوحد العرب . ويحطم أحلاف الصليبيين الاستعماريين ، ويبدد أحلام الصهيونية العالمية الباغية .

جاء جمال عبد الناصر ، ليكون الفجر الجديد ، للدور الاسلامى الجديد ، وما أدراك ما الفجر الإسلامى البازغ . . . ولتعلمن نبأه بعد حين . . .

الغزالي والتصوف وأثره

للدكتور محمد يوسف موسى
الأستاذ بجامعة القاهرة

كان من الطبيعي أن يكون في الاسلام تصوف ، وأن يكون من أبنائه متصوفون ، ذلك بأن هذا الدين يحث على العلم والمعرفة ، ويحمل على تطهـــير النفس من المادة وأدرانها حتى تصل إلى أعلى مراتب السمو والكمال .

وقد قضى الإمام حجة الإسلام الغزالي عمره الخصب العريض في علـم الكلام والفلسفة وغيرهما من العلوم الاسلامية ، ثم شك في أواخر حياته في العلوم التي عرفها وفي جدواها في الوصول إلى المعرفة الحقة ، وبعد تجرده عن الدنيا وجهاد استمر نحو عشر سنوات آمن بالتصوف وعظيم أثره في نمو النفس ووصولها إلى المعارف التي لا ريب فيها .

ولهذا نجده يقول في كتابه القيم « المنقذ من الضلال » بعد أن قص علينا ما كان منه ومن تجرده عن الدنيا وعزلته الناس ابتغاء الوصول إلى المعرفة : « ودمت على ذلك مقدار عشر سنين ، وانكشف لي أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها . والقدر الذي أذكره لينتفع به : هو أني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق . بل لو جمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ، ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا إليه سبيلا ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به » .

وطريقة هؤلاء الصوفية ، الذين يرفعهم الامام الغزالي فوق كل الطرق العالية

تتميز بأن أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، وبأن مفتاحها هو استغراق القلب بالكلّية بذكر الله ، وآخرها هو الفناء بالكلية فى الله . وحينئذ سلك المتصوف الطريق الحق ، تكون المكاشفات والمشاهدات ، ويصل إلى معرفة الحقائق العلوية ، وينتهى إلى الوصول إلى حضرة الله سبحانه وتعالى .

وهـــذا الغرض يتطلب من سالك الطريق أن يبدأ بتطهير نفسه من الأخلاق السيئة ، وبالابتعاد عن الدنيا ومفاتنها وشهواتها ، وبذلك يكون قلبه كالمرآة الصافية مستعدا لتقبل فيض الله تعالى عليه ، لأنه قبل التحلية تجب التخلية كما يقولون . ثم عليه بعد ذلك أن يسلك للمعرفة كل سبيل ، ومن هذه السبل معرفة القرآن والسنة والعلوم المختلفة الإسلامية . ومتى وصل بعقله وتعلمه إلى ما يستطيع إدراكه من العلم ، وصفا قلبه وتطهرت نفسه من قبل ، لم يكن عليه — كما يقول الغزالى فى كتابه ميزان العمل — إلا الاقبال بكل الهمة على الله تعالى ، والاستعداد والترصـــد لفيضه الذى يصطفى به من يشاء من عباده المخلصين ، وحينئذ تفيض عليه الرحمة ، وينكشف له سر الملكوت ، وتظهر له الحقائق من لدن الله العليم الحكيم :

ومصداق هذا القول هو أقوال شيوخ الطائفة التى ذكر الامام القشيرى فى رسالته الكثير منها ، كما هو أيضا مايؤخذ من كلام الامام الغزالى فى كتبه : المنقذ من الضلال ، وميزان العمل ، وإحياء علوم الدين .

فهذا القشيرى نفسه يذكر أن الصوفى هو من صدق الله فى معاملاته ، ثم تنقّى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم طال بالباب وقوفه ، ودام بالقلب اعتكافه ، فحظى من الله تعالى بجميل إقباله . ويقول الجنيد ، وهو سيد هذه الطائفة وإمامهم فى رأى القشيرى: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات.

فى هذين القولين ، وما ذكرناه عن الغزالى أول الحديث ، أن صحة التصوف تقوم فيما تقوم عليه على البعد عن الدنيا ومفاتنها ، وعلى تنقية القلب من أخلاق السوء

وعلى الاقبال على الله وذكره ؛ ليكون حقيقا بفيضه تعالى ورحمته ، والوصول إلى حضرته سبحانه وتعالى أمره .

والتصوف الحق يقوم أيضا على بذل الجهد فى سبيل العلم الصحيح ، وذلك حتى يكون له بعد هذا أن ينتظر من الله علم مالم يستطع الوصول إليه بعقله ونظره ؛ وفى هذا يقول أبو القاسم الجنيد أيضا : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر ؛ لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

وللتصوف الحق وأصحابه علامات وأمارات بها يمتاز عن التصوف الزائف وأصحابه الأدعياء . فهذا أبو حمزة البغدادى يقول : علامة الصوفى الصادق أن يفتقر بعد الغنى ، ويذل بعد العز ، ويخفى بعد الشهرة . كما يقول الجنيد : الصوفى كالأرض يطؤها البر والفاجر ، وكالسحاب يظل كل شىء ، وكالمطر يسقى كل شىء ، ويقول : إذا رأيت الصوفى يعنى بظاهره فاعلم أن باطنه خراب .

وبعد ! إذا كان التصوف الحق يتفق والاسلام ؛ وإذا كان له هذا الأثر الكبير فى تطهير النفس وسموها ، وفى الوصول إلى المعارف العالية التى يعز على العقل إدراكها ، وفى تجنب أخلاق السوء والتحلى بالأخلاق الفاضلة نقول إذا كان الأمر كذلك ؛ فمن الخير أن نعمل له وأن نفيد منه لخير الأفراد والجماعات والأمة بأسرها .

هذا ، ويجب ألا ننسى أننا فى عصر يشقى فيه العالم شقاء كبيرا بسيطرة المادة على الأفراد والجماعات إلا من عصم الله ، وعلى الدول جميعا ، وذلك بسبب نبذ قادة الدول تعاليم الأديان السماوية الصحيحة وراءهم ظهريا . ولعله لا منجاة للعالم من هذا الكابوس الذى يجثم على الصدور وراء هذا الضلال الذى أعمى البصائر والعقول ، إلا بالرجوع إلى الدين الصحيح والأخذ بنواحيه الروحية التى تدعو إلى التعاون والسلام .

ولكن علينا مع هذا وذاك أن نؤكد أن الدعوة إلى التصوف الحق ليست دعوة إلى التبطل والعيش فى رخاء على حساب الغير من الجماهير ، فما كان سيدنا عمر

ابن الخطاب مثلا — وهو سيد العارفين الواصلين — إلا مجاهدا مكافحا معرضا فى خاصة نفسه وأهله عن طيبات هذه الحياة الدنيا وزينتها ومكانتها . وهذا يتطلب منا ثورة على ماليس شرعيا ولا صحيحا ؛ وجهاد فى سبيل إصلاح الفاسد وتقويم المعوج ؛ وبهذا وذاك نصل بعون الله القوى الحكيم إلى ما نبغيه لأنفسنا وللأمة الإسلامية من الرفعة والسمو والمجد وبذلك يعود لنا مقام الصدارة وتوجيه العالم إلى حياة العز والكرامة والإخاء والسلام ومن الله التوفيق .

محمد يوسف موسى

سفينة الوحـــدة

قال رسول الله ﷺ

«مثل القائم عند حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا فى سفينة فصار بعضهم فى أعلاها وبعضهم فى أسفلها فكان الذين هم فى أسفل السفينة : لو خرقنا فى مكاننا خرقاً لنشرب منه حتى لا نمر على من فوقنا ؛ إن أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعا وإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا »

بعد أربعة عشر قرنا يطل علينا النور النبوى ليضرب لنا الأمثال التى نهتدى بها فى حاضرنا .

إن الأمة العربية اليوم التى تمتد من المحيط إلى المحيط ؛ تركب فى سفينة واحدة . فإذا تركنا المفسدين يفعلون ما تصور لهم نزواتهم وشهواتهم هلكوا وهلكنا ، وإذا اخذنا على أيديهم نجوا ونجونا .

من رجالنا

قال عثمان بن عطاء الخراسانى . انطلقت مع أبى نريد هشام بن عبد الملك . فلما قربنا . إذا شيخ على حمار أسود عليه قميص وجبة وقلنسوة فضحكت منه وقلت لابى : من هذا الاعرابى ؟ قال أسكت . هذا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن رباح ؛ وانطلقا حتى وقفا على باب هشام فما استقر بهما الجلوس حتى أذن لهما بالدخول ، فلما خرج أبى قلت له . حدثنى ما كان منكما قال : لما قيل لهشام إن عطاء بن رباح بالباب أذن له ، فلما رآه هشام قال . مرحبا مرحبا . هاهنا هاهنا . ولازال يقول هاهنا هاهنا حتى أجلسه معه على سريره ومس بركبته وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا فقال له : ما حاجتك يا أبا محمد ؟ قال يا أمير المؤمنين أهل الحرمين أهل الله وجيران رسول الله تقسم عليهم أرزاقهم وأعطياتهم فقال ياغلام: أكتب لأهل مكه والمدينه بعطاياهم وارزاقهم لسنة ، ثم قال : هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال نعم يا أمير المؤمنين أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب وقادة الاسلام ترد فيهم فضول صدقاتهم قال : نعم ياغلام أكتب بان ترد فيهم فضول صدقاتهم هل من حاجة غيرها يا أبا محمد قال نعم ياأمير المؤمنين : أهل الثغور يردون من ورائكم ويقاتلون عدوكم تجرى لهم ارزاقا تدر عليهم فانهم إن هلكوا ضاعت الثغور قال نعم : ياغلام أكتب بحمل ارزاقهم اليهم هل من حاجة غيرها ياأبا محمد ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين أهل ذمتكم لايكلفون مالا يطيقون فان ماتجبونه منهم معونة لكم على عدوكم قال نعم ياغلام اكتب لأهل الذمة . بان لايكلفوا مالا يطيقون هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال نعم اتق الله فى نفسك فانك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك وتحاسب وحدك ولا والله مامعك من ترى أحد فاكب هشام ينكت فى الأرض وهو يبكى فقال عطاء فلما كنا عند الباب اذا رجل تبعه بكيس لا أدرى مافيه دنانير أم دراهم؟فقال إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا فقال لاأسألكم عليه أجرا ان أجرى إلا على رب العالمين قوا لله ماشرب عنده قطرة ماء .

الطريق إلى الله

لفضيلة الاستاذ عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وقد نهضت الدعوة الإسلامية من أول أمرها فى ضوء الكتاب والسنة المحمدية ، وكان الدعاة الذين صاحبوا الرسول عليه الصلاة والسلام ومن خالطهم أو تبعهم فى سبيل الارشاد لايخرجون عما رسم القرآن وما أخذبه الرسول ، فكانت دعوتهم آخذة سبيلها إلى القلوب ، وكانت مسالكهم الشخصية شاهدة لهم بإخلاص النية ، وصدق العزيمة ، والاتجاه إلى ربهم بما يقولون وبما يفعلون وبما يدعو إليه .

وهذا الاتجاه هو التحقيق العملى لقولة تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه » وواضح أن هذا الجانب لاينافى أن يعمل المسلم للدنيا من طرقها المشروعة ، فله أن يتكسب رزقه ، وأن ينشط فى حياته الشخصية نشاطا يكفل له مصالحه ونفعه المادى مادام ذلك لايصرفه عن الطاعة ، ولا ينحرف به إلى حرام ، بل يكون هذا العمل نفسه طاعة مطلوبة ، فإن الاسلام دين العزة ، وهو ينشد فى أهله أن يكونوا أغزاء بدينهم وأموالهم وكرامتهم ، لاأن يكونوا أذلاء بالكسل عن العمل المجدى .

وقديما كان الصحابة ومن بعدهم يشتغلون بالتجارة والزراعة والصناعة ويتكسبون من كل طريق حلال ، وكانوا يقودون الجيوش ويتولون الحكم والسياسة وكل ذلك مع شدة تدينهم وتوافر علمهم ، ولم يركنوا إلى التقاعد عن الدنيا ، ولم يروا أن التكسب يعتبر عملا غير دينى كما يتوهم أفراد من الناس .

غير أن أناسا اتجهوا قديما إلى العكوف على العبادة من صلاة وصوم ونحوهما واكتفوا من الدنيا بما يسد الرمق ، وكانت وجهة مقبولة وهؤلاء هم الصوفية كما عرف عنهم وقد قلدهم آخرون لم يبلغوا مبلغهم من العلم بل تقاعدوا عن تحصيل الأرزاق ،

ووكلوا أنفسهم إلى من يمدّ لهم يد المعونة . وتظاهروا بالتقشف والزهادة ليريحوا أنفسهم من مجهود العمل ، وليستريحوا من الكفاح لسدّ فراغهم فى صفوف المجتمع ، وهيأوا للناس أن الدين يقتضى هـذا الانكماش المصطنع ، وأفهموهم أن هذا هو التصوف الذى يسمعون به عن الصلحاء .

وقد غلب على أذهان البسطاء أن هذا الزعم حق ، حتى أصبح التكاسل تقليـداً متبعا يحترفه بعض الحريصين على الشهرة المزيفة على حساب الدين ، مع حرصهم على الدنيا من طريق غيرهم ، كما أصبح تقليداً يستغله بعض المحتالين إذا أعجزهم الكسب من طريق أخرى ، حتى خشينا أن يعتبر التدين موتا أدبيا فى هذه الحياة . إذا نظرنا إلى الراغبين فى الشهرة بالزهادة . وخشينا كذلك أن يفهم خصوم الإسلام أن ديننا فيه شعوذة وخداع وتموت كما نعرفه من كثير من الجهلاء .

ومن الحق أن أمور الدنيا لا يمكن أن تستقيم دون أن يكون فى الناس دعاة يرشدون إلى الحق ويبينون للناس ما ينبغى أن يكون عليه المسلم فى دينه ودنياه ؛ إذ الحياة من غير دين تكون حياة جافة خالية من العوامل الروحية التى ترطب قسوتها ؛ وتهون بلاءها ؛ وتبشر بحسن عاقبتها ؛ وتكون الحياة على هذا الغرض طريقا محفوفا بالأشواك غير مأمون العاقبة .

وإذا كنا نشهد أن أقواما من الناس يسيرون فى اتجاهات مختلفة ما بين محترفين يبالغون فى اصطناع التدين . وما بين منحرفين عن الدين ومظاهره يسيرون فى إفراط وراء ما يتاح لهم من أعراض الدنيا ، فهل نيأس من النظر فى شأن هؤلاء وهؤلاء ونترك الأمر على حاله ؟ .

إذا قعدنا عن الدعوة الصحيحة إلى الدين الصحيح كنا فريقا ثالثا مع الفريقين اللذين نعيب عليهما ما تقدم ، فتداركا للفرار من هذا الخطأ ، ومبادرة إلى الواجب نقول : يجب أن يرتفع الصوت بالدعوة الدينية بكل وسيلة يستطيعها أهل العلم ورجال الدعوة فى كل مكان .

وقد أصبحنا نجد روحا جديدة فى صفوف الدعاة الذين نعرفهم باسم رجال الطرق .

حفزتهم فى هذه الأيام على إصدار مجلة تتحدث بلسانهم وتنشر دعوتهم ، ونحن نستبشر بهذا النشاط ونرجو لهم التوفيق فى السير على منهاج الكتاب والسنة ، والبعد عما يشوب دعوتهم مما لا يتفق مع جلالها وأثرها فى إصلاح المجتمع وبخاصة المجتمع الريفى .

حينئذ تكون دعوتهم عاملا معترفا به فى إصلاح الحياة الاجتماعية من طريق الدين وتكون الدعوة بنشاطها هذا مسايرة لروح الثورة الاصلاحية التى دبت فى كل جانب من جوانب المجتمع العربى .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلمـــاء
ومدير التفتيش بالأزهر

أهل الذكر

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل ، تنادوا ، هلموا الى حاجتكم ، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم مايقول عبادي ؟ قالوا يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك قال : فيقول ، هل رأونى قال : فيقولون لا والله مارأوك ، قال فيقول وكيف لو رأونى ؟ قالوا : ولله لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيدا وتحميداً ، وأكثر لك تسبيحا ، قال : فيقول فما يسألونى قالوا : يسألونك الجنة قال : وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا والله يارب ما رأوها ، قال : فيقولوا فكيف لو أنهم رأوها ؟ فيقولون : لو أنهم رأوها ، كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة ، قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار قال هل رأوها ، قال : يقولون : لا والله يارب ما رأوها ، قال ، يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة ، قال فيقول فأشهدكم أنى قد غفرت لهم ، قال يقول : ملك من الملائكة ، فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجته ، قال : الجلساء الصالحون لا يشقى بهم جليسهم »

من قصص الصالحين

حدث عطاء السلمى فقال : منعنا الماء فخرجنا نستقى ، فإذا نحن بسعدون فى المقابر ، فنظر إلى ثم قال :

ياعطاء هذا يوم النشور أو بعثر ما فى القبور ؟ فقلت لا ، ولكن منعنا الماء ، فخرجنا نستقى ، فقال ياعطاء : بقلوب أرضية ، أم بأرواح سماوية ؟ فقلت : بأرواح سماوية ؟ فقال هيهات هيهات ، إن الناقد بصير ، ثم رمى إلى السماء بطرفه ، وقال : إلهى وسيدى ، لاتهلك بلادك بذنوب عبادك ، ولكن ، بالسر المكنون من أسمائك ، وما وراء الحجب من الملائك ، إلا ما سقيتنا ماء غيثا فراتا ، يحيا به العباد ، وتروى به البلاد ، يامن هو على كل شىء قدير ، وما إن أتم كلامه ، حتى أرعدت السماء وأبرقت ، وجادت بمطر غزير ، فولى وهو يقول .

أفلح الزاهدون والعابدونا ... إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حبا ... فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الرحمن حتى ... حسب الناس أن فيهم جنونا

الأدب الهادف الصالح

رسالة للحياة السامية

لفضيلة العارف بالله
الشيخ محمد الأودن

وإنما الأمم الأخلاق .

أخلاق الأمم والجماعات تنطبع وتتكيف على منهاج الآداب العامة الفاشية فيها . فإذا كانت الآداب العامة لأمة أو لجماعة مصادر لانبعاث غرائز الشهوات ونموها فإن مجارى تفكيرها تتجه إلى هذا الأفق النازل من آفاق النفس الإنسانية وتنحصر أعمالها وغاياتها ومقاصدها فى محيط هذا الأفق .

وهذا الأفق إذا سيطر على تفكير أمة وأعمالها فإن فهمها يقصر عن إدراك المعانى السامية الرحيبة للوجود الانسانى وتدور منازعها وميولها حول محيط وجودها الراهن ولذاتها المنقضية الفانية

وكل أمة تسير فى هذا المضمار وتتجه للوجه الأرضى من وجودها هذا الاتجاه الممعن الموغل لا تلبث أن تنحل عزائمها وتفقد قوة الصبر المقاومة لأحداث الأيام وتنازعها الأهواء وتتصادم فيها الرغبات والاتجاهات وتتغلب فيها روح الذاتيه والأثرة فيؤثر كل إنسان من بنيها مصلحته الخاصة على المصلحة المشتركة للأمة وما يؤديه للمصلحة المشتركة فإنما يؤديه فى حدود الذاتية بوجه من الوجوه .

وهكذا تتدرج هذه الموبقات وتجلب ما يناسبها من السجايا الرذولة المنكرة حتى يؤول أمر الأمة الى التفكك والانحلال .

ومهما طال بها الأمد فهذه النتيجة محتومة لها مالم تتيقظ فيها الحوافظ لكيانها الروحى وينشط دعاتها وأصحاب البصر والتبادرون للحقائق فيها الى السعى لتغيير اتجاه آدابها العامة الى وجهة صالحة لا تثير غرائز الشهوات ولا تجعل السبيل الى الرذائل معبدا

ميسورا . فعند ذلك يخف التفكير فى الشهوات . لأن بواعث هذا التفكير وحوافزه ليست قائمة فى الآداب الشائعة فى الأمة .

ويعود شطر كبير من تفكيرها ومجارى خواطرها واتجاه أحاسيسها وميولها إلى الناحية الروحية لوجودها فتعمل فى هذا الأفق الرحيب الذى يتسع للجميع ولا تتصادم فيه الرغبات فتبنى المجد الصحيح على أساسه القوى المتين .

ومثل الأمم فى هذين الاتجاهين مثل الفرد فى ذلك والشواهد على ذلك فى الفرد وفى الامم والجماعات كثيرة يخطئها العد والاحصاء .

هذا تحليل على موجز لتأثير الآداب العامة فى تكوين أخلاق الامم والجماعات وتكييفها . ومن هنا كانت الآداب العامة لأمة أو لجماعة مرآة تتجلى فيها شمائلها وأخلاقها ويقاس بها رقيها وانحطاطها فى معناها الصحيح لا فى معناها الزائف الموهوم .

ومن ادعى خلاف ما قلنا فدعواه مناقضة الحق والمنطق الذى يؤيده ثم هى غفلة عن السنن الكونية التى لم تتخلف فى الحقب المتتالية من تاريخ بنى الإنسان .

إذا تقرر هذا فإنه يبدو من الجلى أن من واجب الزعماء والقادة الذين يحملون لوية النهوض بالأمم مكافحة الآداب الماجنة المتهتكة الباعثة للغرائز الدنية وأن يتحروا جعل الآداب العامة الفاشية فيها ذات وجهة صالحة تبعث الفضيلة ولا تمهد للرزيلة ليتيسر تكوين الأخلاق الفاضلة فى الأمة فتتحد كلمتها وتقوى صولتها وينمحى منها صراع الأهواء وتبنى المجد على الأساس القوى الذى لا يعتوره وهن ولا اضمحلال .

وكل من يغفل من الزعماء والقادة عن هذا الأصل أو يتجاهله فإنما يلقى بأمته إلى التهلكة ويمهد لها سبل التناحر والفناء ويجعل رسالتها فى الحياة رسالة حيوانية أرضية شيطانية لا رسالة روحية سماوية رحمانية .

ومن واجب الشعوب ولا سيما العلماء أن تنبه هؤلاء الزعماء والقادة إلى خطر ما يسوقون الأمم إليه بالتغافل والتجاهل عن تقويم الآداب واجرائها على الصراط المستقيم لعودتها الى الرشد والصواب ويعملوا لبناء الاصلاح فى الأمم على أساس تقنية الفرد بالفضائل وتوجيه سير آدابها الاجتماعية . هذا الاتجاه . فان عبارة الفرد

بالفضائل وانتظام الآداب على سنن الاستقامة هما أصل كل رقى ونهوض وما وراءهما ، فظواهر سطحية إن لم تقم على هذا الأصل فانها لاتغنى ولا تفيد .

(الآداب العامة التى تكون الأخلاق الفاضلة لاتتحقق إلا بحماية القانون)

ثم إن الآداب الصالحة لتكوين الأخلاق وتكييفها لاتقوم إلا بالقوانين التى تحمى الفضيلة وتطارد الرذيلة فلا بد للأمة التى تريد صيانة آدابها من هذه القوانين الحارسة تهيمن على سيرها وتسيطر على مجرى آدابها ومسالك اتجاهاتها لئلا تنحدر الى مهاوى الرذائل والشهوات وتفقد ملكة الاشراف على التوجيه الصالح لأبنائها وتهيئة التربة الصالحة بالبيئة الصالحة لتربية أجيالها المتعاقبة فى محيط الطهر والعفاف والخصائص الإنسانية السامية .

وكل أمة تتهاون فى حماية الفضيلة ومطاردة الرذيلة ولا تشرع لتلك الحماية وهذه المطاردة القوانين الزاجرة الرادعة فهى فاقدة لمايشبه العقل فى نظام الأمم والجماعات فإن وضع القوانين فى الأمم والجماعات هو وضع العقل فى الأفراد بل إن العقل فى الأفراد قد يفقد السلطان على الأهواء إلا بمعونة من رهبة القانون الزاجر فإن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ،

ومن أجل هذا كان السلطان العادل ظل الله فى الأرض ، ولا قيمة لانسان بلا عقل كذلك لا قيمة للأمة بلا قانون يحمى الفضائل ويطارد الرذائل وتتوجه الأمة تحت سلطانه الى معانى الحياة الكاملة الشريفة وكما أن الصحة الكاملة للعقل الفردى ذات مرتبة واحدة تتلخص فى اكتمال تصوره لعوق الأهواء والشهوات عن الكمال الإنسانى اكتمالا يفضى الى تصحيح الإرادة وتصميمها على رفض هذه الأهواء العائقة والتخلى عنهـــا . كذلك الصحة لقانون الجماعة ذات مرتبة واحدة تتلخص فى أن يسد القانون سبل الرذائل ويحاربها ويحمى الجماعة من شرورها وأوضارها ويوجههم الى اقتناص الفضائل والرابح بها فيكون القانون عقلا كليا للعقول الفردية وربما تتبعه الأمة الى أقصى ما تستعد له من مراتب الكمال .

وبذلك تصلح لقيادة النوع الانسانى الى المثل العليا وتفتح السبيل أمام كل الامم لادراك هذه المثل السامية والتعلق بها

اللهم أنت المسئول أن تحقق لأمتنا هذا الكمال وأن توجه قلوب قادتها وزعمائها الى العمل لتحقيقه وأن ترزقهم قوة من لدنك وفهما لحقيقة السعادة الإنسانية إنك سميع الدعاء مجيب الرجاء .

محمد الأودن

أبو عبد الله الحسـين

قال معاوية وعنده أشراف الناس : أخبرونى عن أكرم الناس أباً وأماً وعماً وعمة وخالا وخالة . وجداً وجدة . فقام مالك بن عجلان وأومأ إلى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه . ثم قال :

هو ذا ، أبوه على بن أبى طالب . وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، وعمه جعفر الطيار ، وعمته أم هانىء بنت أبى طالب . وخاله القاسم بن رسول الله ﷺ ، وخالته زينب بنت رسول الله ، وجده رسول الله ، وجدته خديجة بنت خويلد . فسكت القوم ونهض الحسين ، فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال :

أحملك حب بنى هاشم على أن تكلمت بالباطل ؟ فقال مالك : ماقلت إلا حقا . وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق ، إلا لم يعط أمنيته فى دنياه ، وختم له بالشقاء فى أخراه بنو هاشم ، هم أنصركم عوداً وأورا كم زنداً . كذلك هو يامعاوية ؟ فقال معاوية . اللهم نعم

علم النفس والتصوف

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

ورث فلاسفة الاسلام علم النفس عن أرسطو بوجه خاص ، فكان كتابه مترجما ومتداولا ومعروفاً ، ويذهب فيه إلى أن النفس «كمال أول لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة» ، أو باللغة الحديثة : النفس مجموعة الوظائف الحيوية للكائن الحى ، ثم فصل هذه الوظائف الحيوية تبعا لتقسيم النفس إلى نباتية وحيوانية وإنسانية ، إلى الغذى والنمو والتوليد ، فيما يختص بالنفس النباتية ، والتى يسميها الغاذية أيضا ، وإلى الإحساس والتذكر والتخيل والنزوع فيما يختص بالنفس الحيوانية ، ويسميها الحساسة ، وإلى التفكير والتعقل فيما يختص بالنفس الإنسانية أو العاقلة.

ولكن هذا المنهج العلمى ، الذى اتبعه أرسطو ، لم ينظر فى داخل النفس الإنسانية يشاهدها ويسجل أحوالها المختلفة ، وهى أحوال عجيبة تختلف من فرد إلى آخر ، ومن ظرف إلى ظرف .

هذا ما فعله رجال التصوف فى الإسلام

ولهذا السبب إن شئنا أن نلتمس الدراسات النفسانية الإسلامية حقا ، فعلينا أن نذهب إلى المتصوفة فنستقرىء كتبهم ، فقد أفاضوا فيها القول فى وصف الأحوال النفسية ، أو الحياة الوجدانية الشعورية ، تلك الحياة التى تتميز بوصف الانفعالات والعواطف المختلفة . من حب وبغض ، وخوف ورجاء ، وغضب واطمئنان ، وغيبة وحضور ، وغير ذلك مما يسميه الصوفية باصطلاح خاص هو « الأحوال » .

إنظر إلى قول ابن الفارض :

وفى الصحو بعد المحو لم أك غيرها ... وذاتى بذاتى إذ تجلت تجلت
متى حلت عن قولى أنا هى أو أقل ... وحاشا لمثلى أنها فىّ حلت

فهو يصف « الذات » ، ماهى ؟ وكيف يحس بها ؟ وكيف يتصل بنفسه ؟ أو بذاته ؟ وماذا يجرى عندما يتصل بذاته هذا الاتصال المباشر ، وهذه العملية هى المعروفة فى علم النفس بمنهج الاستبطان أو التأمل الباطنى .

واصطلاح الصحو ثم المحو ، هو ما يعبر عنه علم النفس الحديث باسم الشعور ، واللاشعور ، فى مذهب فرويد ومدرسته .

وليس معنى أن الإنسان يكون فى حال المحو ، أو اللاشعور ، أنه قد فقد ذاته ، أو أنه غير حى ، على العكس ، إنه يتصل بذاته حقا ، ويتجلى بها ، كل ما فى الأمر أنه فى حالة لا شعورية .

وأوفى كتاب حلل الظواهر النفسية الوجدانية تحليلا وافيا هو إحياء علوم الدين للغزالى ، فمن شاء أن يستخرج رأى علماء الاسلام فى علم النفس فعليه بذلك الكتاب .

وهناك كتب كثيرة من كتب الصوفية تجد فيها وصفاً دقيقا للأحوال النفسية المختلفة ، سواء من الناحية العامة ، أم من ناحية التجربة الدينية ، وهو ما تعنى به هذه الكتب بوجه خاص ، مثل كتاب « الرعاية » للحارث المحاسبى ، والفتوحات المكية » لابن عربى ، « وقوت القلوب » لأبى طالب المكى ، دون أن نستطرد إلى ذكر هذه الأمهات المعروفة لدى القراء .

ولم يتوفر باحث حتى الآن على جمع مشاهدات الصوفية التى سجلوها فى كتبهم ، وقام على بحثها بحثا علميا منظما ليخرج من ذلك بتصوير صحيح دقيق لنظرية المسلمين الصوفيين فى علم النفس .

ونحن نرجو أن تنبه هذه الكلمة القصيرة الأذهان إلى مثل هذه الدراسة ، التى نهج وليم جيمس نهجها فى كتابه « ألوان من التجربة الدينية » .

أحمد فؤاد الأهوانى

اسم التصوف

يقول الإمام القشيرى فى رسالته :

« . . . المسلمون بعد رسول الله ﷺ لم يتسم أفاضلهم — فى عصرهم — بتسمية علم ، سوى صحبة رسول الله ﷺ ، فقيل لهم الصحابة . ولما أدرك أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة التابعين . . . ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ، ثم اختلف الناس ، وتباينت المراتب ، فقيل لخواص الناس ، ممن لهم شدة عناية بأمر الدين ، الزهاد والعباد ، ثم ظهرت البدع ، وحصل الادعاء بين الفرق . فكل فريق ادعى أن فيهم زهادا . فانفرد خواص أهل السنة ، المراعون أنفاسهم مع الله تعالى ، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة . . . »

ويقول العلامة سراج الدين الطوسى فى اللمع :

« . . . فإن سألنى سائل : قد نسبت أهل الحديث إلى الحديث ، ونسبت الفقهاء إلى الفقه ، وهكذا ، فلم قلت الصوفية ، ولم تنسبهم إلى حال ولا علم ؟ قلت : لأن الصوفية لم ينفردوا بعلم من العلوم أو بنوع دون نوع ، لأنهم معدن جميع العلوم ، ومحل جميع الأحوال المحمودة ، والأخلاق الشريفة . . . »

ويقول العلامة ابن خلدون فى مقدمته .

« . . . هذا علم من العلوم الشرعية ، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، طريقة الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة ، والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الحياة وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة . وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف . ولما فشا الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ، اختص المقبلون بأنفاسهم على الله باسم الصوفية .

مع كتاب الله

للأستاذ أبو بكر ذكرى
أستاذ الأخلاق بكلية أصول الدين

﴿ آية واحدة فى القرآن . . ﴾

عندما اختار الله سبحانه لرسالته الخاتمة للرسالات المتممة لمنهج السماوات ، نبيه الأعظم ورسوله الأكرم محمدا ﷺ كان أعظم فضل خصه به واسمى ميزة خص بها رسالته الخالدة ذلك القرآن العظيم الذى يتألق على الخلود سناه ويتوهج نوره ويزدهر كماله ولا يزيده مر الأبد إلا نورا على نور وسمـــوا على سمو وازدهارا على ازدهار وإعجازا على إعجاز .

إن هذا القرآن العظيم على نظمه البديع الرائق وأسلوبه الباذخ الفائق ليجمع من طرق الإرشاد وقواعد السلوك الخير ونظم الاجتماع العليا وتعاليم الأخلاق الفضلى ما تنبهر أمام عظمته العقول ، وتخشع أمام جلاله القلوب ، ولا ينفد على مر الزمان عجبه ولا تنقص على تجدد الحدثان روعة آياته البينات .

وحسبنا أن نتأمل من بين آياته الخالدة آية واحدة تجمع فى ثناياها دستور أمة كاملة ونظام مجتمع مثالى بل نظام عام شامل وحياة تامة كاملة فاضلة . وتلك آية واحدة لن ننسى ؛ منذ كنا عاكفين على عمل تفسيرنا لكتاب الله العظيم ؛ خلال العام المنصرم ، ما أخذنا أمام تلاوتها من عجب ؛ بل ما أصابنا من ذهول ودهشة :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

يالها من فاتحة رائقة للآية الكريمة المعجزة الخالدة ؛ أن يدعونا الله سبحانه إلى الاعتصام بحبله والتمسك بدينه وشريعته كما لو كنا جميعا مشدودين إليها بحبل متين

لا انفصام له ولا انقطاع . وإذا كان الحبل المادى من أليافه وخيوطه وأنسجته المعروفة كم يتمسك به حى أو يربط به غير حى ؛ فينجو من الغرق فى قاع لجة ، أو من السقوط والتردى من شاهق إلى مكان سحيق ؛ أو يربط به الحيوان الشرود فيمنع ضياعه وهلاكه إلى غير ذلك من منافع الربط ؛ فما بالنا بحبل الله الأكرم ورباطه الأعز الأعظم يعصمنا من الزلل ويبعدنا من الخطل ويحمينا من نزوات الضلال ووساوس الجانب الشيطانى فينا ويمسكنا على الجهاد والصبر والتقوى ومكارم الأخلاق ويربى فينا الجانب الإنسانى والملكانى فتتألق فينا هبات الله العليا وتلوح علينا مشارق أنواره العظمى ونيكون جديرين باسم « عباد الله المخلصين » .

ويأله من شفع رائع عظيم أن يشفع الله سبحانه ذلك الأمر بنهى عباده عن التفرق « ولا تتفرقوا » فكان من بالغ وعظه وبليغ رحمته أن لم يقتصر على الأمر بالاعتصام وإن كان فيه الكفاية لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . فأراد سبحانه بهذا النهى أن ينبهنا إلى جانب خطير آخر فى طبيعتنا إن لم نلتفت إلى خطره كنا من الهالكين ولما كانت طبيعتنا الإنسانية تسرع إلى الخير أحيانا بما لدعوته من نفحة عذبة ورنين جميل فقد يحدث أحيانا أخرى أن تؤتى من حيث لا تشعر بسبب الجانب الشيطانى منها فننسى ما ارتبطنا به من حبل الله المتين الذى يجمع وحدتنا ويلم شتاتنا ؛ وننفصل منه ونفترق عنه ؛ جريا وراء الشهوات وطلبا لمفاتن الدنيا التى كم فرقت مجتمعين وشتت ملتئمين وألقت العداوة والبغضاء بين أخوة مترابطين .

وما أبدع قوله ﷺ : « إن أخوف ما أخاف عليكم من بعدى مايفتح الله عليكم من زهرة الدنيا وزينتها . . . » وقد صدق رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق . فما كادت زهرة الدنيا تتجمع فى المحيط الإسلامى وتنمو وتزدهر حتى جرى وراءها من لم ينتبهوا إلى غدر الجانب الشيطانى فى الطبيعة الإنسانية ؛ ونسوا دعوة الله إلى الاعتصام ونهيه عن التفرق فتفرقوا أوزاعا غير شاعرين بأن ذلك انتصار لجانب الشر على جانب الخير . وكان الحق أن ينتصر الخير على الشر ويدفعه فإذا هو زاهق . وما أبدع ماحذرنا به الشاعر البليغ إذ يقول :

وكم من مجيب دعـــوة الخير حاسبا بأن قـد نجا من كل شر ومأثم
تخوّنه من جانب الطبع خائن فأهـوى وأمسى كالوعاء المحطم

وياله من تعليم أدبى رفيع أن يعلمنا سبحانه شكره على آلائه بتذكر نعمائه علينا بأن أنقذنا من العداوة والقساوة وشرة الطباع السبعية الوحشية فعلمنا الصداقة والإخاء والحب والتعاون والتضحية والترابط أمام شدائد الدنيا ومحنها وآلامها بعد أن كنا أمة جاهلية ضالة فى دينها ودنياها غارقة فى شرورها ومآثمها . كل ذلك لنهتدى بهدى الله ونتمسك بدينه وشريعته فنكون خير أمة أخرجت للناس .

إن هذه الآية الخالدة الرائعة لتحتاج فى تفسيرها التفصيلى إلى عشرات الصحائف بل إلى سفر كامل . وحسبنا فى مقال محدود أن نشير إلى مدى بلاغتها وعظمتها وإعجازها ومالا يدرك كله لا يترك جله . ومالا يدرك جله لا تترك الاشارة إليه حسب الطاقة وجهد الوسع وعسى أن يتولانا الله بعنايته فنكون من المهتدين ؟

أبو بكر ذكرى
أستاذ الأخلاق بكلية أصول الدين

الله . . .

﴿ إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحىّ من الميت ؛ ومخرج الميت من الحىّ ذلكم الله فأنّى تؤفكون ، فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا لكم الآيات لقوم يعلمون . . ﴾

الأنعام (٩٧)

تعريفات صوفية

« إن أعلم الناس بالتصوف ، أئمته »
« وعلماؤه ، الذين أرسوا قواعده ، »
« ورفعوا بنيانه . ونحن نقدم هنا صفوة »
« منتقاة من التعريفات الصوفية التى »
« وردت على ألسنة هؤلاء القادة الأئمة . »
« على اختلاف المناهج والأذواق مرتبة »
« ترتيبا تاريخيا يرشدنا إلى تطور المعارف »
« الصوفية »

(١) معروف الكرخى — المتوفى سنة ٢٠٠ هـ —
« التصوف الأخذ بالحقائق ، واليأس مما فى أيدى الخلائق »

(٢) بشر الحافى — المتوفى سنة ٢٢٧ هـ —
« الصوفى من صفا قلبه لله »

(٣) سهل بن عبد الله التسترى — المتوفى سنة ٢٤٣ هـ —
« أصول طريقتنا سبعة : التمسك بالكتاب والاقتداء بالسنة وأكل الحلال ، وكف الأذى ، وتجنب الآثام ، ولزوم التوبة وأداء الحقوق »

(٤) ذو النون المصرى — المتوفى سنة ٢٤٥ —
« سئل ذو النون عن التصوف فقال : هم قوم آثروا الله عز وجل على كل شىء ، فآثرهم الله عز وجل على كل شىء »

(٥) أبو تراب النخشبى — المتوفى سنة ٢٤٥ —
« الصوفى لا يكدر شيئا ، ويصفو به كل شىء »

(٦) سرى السقطى — المتوفى سنة ٢٥٧ —

« التصوف اسم لثلاثة معان : وهو الذى لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ، ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة ، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله »

(٧) أبو حفص الحداد — المتوفى سنة ٢٦٥ هـ —

التصوف تمام الأدب

(٨) أبو سعيد الخراز — المتوفى سنة ٢٦٨ هـ —

« الصوفى من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، واستوى عنده الذهب والمدر »

وقال : الصوفى من صفى ربه قلبه فامتلأ قلبه نورا ، ومن حل فى عين اللذة بذكره لله

(٩) عمرو بن عثمان المكى — المتوفى سنة ٢٩١ هـ —

« سئل عمر عن التصوف فقال : أن يكون العبد فى كل وقت مشغولا بما هو أولى به فى الوقت »

(١٠) أبو الحسين النورى — المتوفى سنة ٢٩٥ هـ —

« الصوفية قوم صفت قلوبهم من كدورات البشرية وآفات النفوس وتحرروا من شهواتهم حتى صاروا فى الصف الأول والدرجة العليا مع الحق فلما تركوا كل ماسوى الحق ، صاروا لا مالكين ولا مملوكين »

وقال :

« ليس التصوف رسما ولا علما . ولكنه خلق ، لأنه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة ، ولو كان علما لحصل بالتعليم ، ولكنه تخلق بأخلاق الله ، ولن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم أو رسم »

وقال :

« التصوف : الحرية والكرم وترك التكلف والسخاء »

(١١) الجنيد — المتوفى سنة ٢٩٧ هـ —

« التصوف ذكر مع اجتماع ، ووجد مع استماع ، وعمل مع اتباع »

وقال :

« الصوفى كالأرض يطرح عليها كل قبيح ، ولا يخرج منها إلا كل مليح »

وقال :

« التصوف أن يختصك الله بالصفاء ، فمن اصطفى من كل ماسوى الله فهو الصوفى »

وقال :

« الصوفى من أحس قلبه السلامة من الدنيا ، كما أحسها قلب إبراهيم فأطاع أوامر الله ، ومن كان تسليمه كتسليم إسماعيل ، وحزنه كحزن داود ، وفقره كفقر عيسى ، وشوقه كشوق موسى فى مناجاته ، وإخلاصه كإخلاص محمد ﷺ »

وقال :

« التصوف . تصفية القلوب حتى لا يعاودها ضعفها الذاتى ، ومفارقة أخلاق الطبيعة ، ومجانبة نزوات النفس ، ومنازلة الصفات الروحية ، والتعلق بعلوم الحقيقة ، وعمل ماهو خير إلى الأبد ، والنصح الخالص لجميع الأمة ، والإخلاص فى مراعاة الحقيقة ، واتباع النبى صلى الله عليه وسلم » (للحديث بقية)

ملامح صوفية

قال رسول الله ﷺ يوما لحارثة : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت [illegible] ، فقال : يا حارثة ، لكل حق حقيقة . فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : يارسول الله . عزفت نفسى عن الدنيا ، فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا ، وإلى أهل الجنة فى الجنة يتزاورون وإلى أهل النار فى النار يتعاوون ويبكون

فقال النبى صلوات الله وسلامه عليه : عرفت فالزم : عبد نور الله بالإيمان قلبه

الأمة الوسط

الدكتور محمد بدوى طبانه
الأستاذ بكلية دار العلوم

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ .

لعل الإنسانية لم تشهد فى تاريخ حياتها الطويلة مثل ذلك الصراع الرهيب الذى شهدته فى السنين الأخيرة بين قوى العالم وأودى بالملايين الكثيرة من بنى البشر ، ولا يزال يهدد البقية الباقية بالفتك والدمار بما يستحدث من أساليب ويخترع من آلات تثير الفزع وتنشر الرعب فى قلوب الآمنين ، فتحرمهم لذة الأمن والسلام .

وكل فريق يدعى لنفسه المثالية فى التفكير وفى فلسفة الحكم ، وينعت نفسه بشتى النعوت الإنسانية التى تجعل من مبادئه ونظمه آية الآيات وصورة للهدف الصحيح الذى تجد البشرية فى سبيل الوصول إليه .

ويصل الخداع والتضليل بأولئك الذين سوّدوا صفحات التاريخ بظلمهم واستبدادهم وسفك دماء الأبرياء وترويع الآمنين ، وسلب الأحرار نعمة الأمن والحرية إلى أن ينعتوا أنفسهم بأنهم أقطاب « العالم الحر » ليفتنوا الناس بذلك النعت البراق عن آمالهم فى الحياة الحرة الكريمة .

وأكبر الأدلة على ذلك التضليل تحت ستار المبادىء والنظم السياسية والاجتماعية تلك البدع التى استحدثوها والمصطلحات التى اتفق عليها أولئك الطغاة من تقسيم هذا العالم المترامى الأطراف بما فيه من أمم وشعوب إلى دول كبيرة ودول أخرى صغيرة .

والدول الكبيرة فى نظرهم هى تلك الدول التى تملك من أسباب الإرهاب والبطش والتخريب مالا تملك الدول التى اصطلحوا على تسميتها بالدول الصغيرة . ثم إلى من

يوجه هذا الإرهاب وذلك البطش ؟ إنه بالطبع لن يتوجه إلا إلى تلك الدول الصغيرة ؛ أو بعبارة أخرى ستكون دول الأقوياء هي المتصرفة في دول الضعفاء تستعمرها وتستنزف ثرواتها ، وتستولي على مقدراتها وإمكانياتها .

هو إذن منطق الذئاب وشريعة الغاب التي تحكم دائما على الضعيف وتيسر الانهام القوىّ إياه ما وجد إلى ذلك سبيلا . وليس لهذه الشريعة من علاقة بالمثالية التي يتغنون بها ، والتي تنظر في حقيقتها إلى الناس سواسية ، ولا تفرق بينهم على حسب اختلاف عناصرهم أو ألوانهم أو عقائدهم .

وقد بلونا نحن العرب والمسلمين من أولئك الطغاة ما بلونا ، بلوناهم متوددين كما بلوناهم ساخطين حاقدين . وكانوا في تودهم يخدعون الضعفاء والجبناء عن حقهم ليستنيموا عن المطالبة به اغتراراً بالمواعيد العرقوبية والمظاهر الزائفة التي جعل بها حكامنا أبطالا على مسارح التمثيل يفتنون في أعضاد أممهم ، ويفرقون من شمل وحدتها واجتماع كلمتها ، ويدفعونهم إلى العبث دفعا حتى نسوا الهناف لأمانيهم وأوطانهم ، وانقلبوا يدعون للأسماء ويهتفون للأشخاص ، أو للأحزاب المتهالكة المأجورة التي هدمت بناء الأمة في سبيل إشباع نهمها من المنصب والجاه والحظوة والثراء .

ولكن هذه الشعوب قد أفاقت بحمد الله من غفلتها واستيقظت من نومتها على أصوات الضحايا من عشاق الحرية ، وعلى أبواق التحرر التي انبعثت أصداؤها وتجاوبت في أرجاء هذا العالم المترامي الأطراف . وأخذ أولئك الذين ينتسمون عبير الحرية يرهفون آذانهم لأنغامها الشجية ، ويبحثون عن مطالع فجر جديد ، ويتطلعون إلى مشرق السلام والإخاء ، ويهفون إلى مشرع الحق والعدل .

إن العدالة التي تنشدها الانسانية هنا . .

إن الحق الذي تشرئب أعناقهم وتهفو إليه أرواحهم هنا . .

إن الفجر الجديد الذي يمحق جحافل الظلم والظلام قد أشرق على هذا الكون منذ أربعة عشر قرنا في هذا الدين الخالد . وفي هذه الأمة التي استنامت حيناً عن أداء رسالتها نحو الانسانية في شتى مواطنها بفعل الطغاة والجهلة الذين وكلت إليهم الأقدار

تدبير أمرها ، فكانوا عبيداً فى زى سادة ، لأن شهواتهم استرقت نفوسهم . وقتلت حميتهم وبسالتهم التى كانت مضرب الأمثال . ومن ثم صاروا أذيالا وأعقابا بعد أن كانوا رءوساً وهاماً ، وأصبحوا أتباعا بعد أن كانوا متبوعين ، وسرى الفساد إلى طبقات الناس ، وتبلبلت خواطرهم فطفقوا يبحثون عن أسباب السعادة وأسباب المجد ذات اليمين وذات الشمال ومجدهم أمامهم وبين أيديهم ولكنهم ضيّعوه ، وأخذوا يبحثون عنه فى أيدى الناس .

إن لهذه الأمة من دينها الخالد ، ومن تاريخها الزاهر ، ومن تقاليدها المأثورة ، ومن تفكيرها الخصب ، مايجعلها فى طليعة الأمم ، ومايرتفع بها إلى منزلة الكرامة ، وإلى عجلة القيادة ، ومايجعلها فى غنى عن التعاليم المستوردة التى يتهالك عليها المفتونون المخدوعون . « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » .

فى هذه المقومات القوة لمن ينشد القوة لنفسه وللجماعة التى يعيش فيها . وفيها الإخاء والمساواة لمن يحلم بالمجتمع المثالى الذى فيه الإخاء والمساواة وفيها الحق الذى افتقدته الانسانية وضلت سبيله فى مهامه الظلم والطغيان . .

وفيها التشريع السمح الذى لم يرتجل اعتباطاً ، والقانون السماوىّ الذى لم يحسب فيه حساب كبير ولا حساب صغير ، وإنما روعى فيه الحق المحض الذى يحمى الصغير من جور الكبير .

وفيها حرب الفساد ومظاهره من الأثرة والطغيان ، ليعود الأمل أمام أولئك الذين ذلت أعناقهم أمام سيوف الجشع والأثرة والطغيان . وفيها الحقائق التى يهدى إليها النظر السليم ، والحقائق العملية التى تنظر إلى الفرد كما تنظر إلى المجتمع ؛ وتوفر على كل منهما حظه وتحفظ عليه حقه فى الحياة الحرة الآمنة الكريمة ، قد تضمنتها تلك المبادىء السامية التى حمل لواءها القرآن ، ورفع رايتها الاسلام ، وحملها أولو العزم من الرجال فكتبوا لأنفسهم مجداً بين العباقرة الأفذاذ فى مختلف نواحى الحياة الانسانية ، وكسبوا لأمتهم اعتراف المنصفين من عباقرة المفكرين .

والمسلمون الذين اعتنقوا دين الفطرة يجدون فى كتابهم أروع مثل للحياة وأسمى

قواعد السلوك وأشرف الفضائل وأكرم التعاليم التى تصون متبعها وتحفظه من التردّى والسقوط فى الهاوية .

وتلك المبادىء التى يقرؤها المسلم فى كتاب الله وفى آثار رسوله هى المبادى التى تتطلع إليها الانسانية . ويتنازع شرف الاهتداء إليها الشرق والغرب مع الافراط والتفريط فى حظ الفرد من الجماعة وحظ الجماعة من الفرد . ولم تستطع المدنية المزعومة أن تحل هذه المشكلات أو تضيق الهوّة بين الفريقين ، بل زادت الهوة اتساعاً وعمقاً ، حتى كان ذلك الاصطراع الذى أفقد العالم الطمأنينة والاستقرار .

ولقد آن لهذه الأمة التى قال الله فيها « كنتم خير أمة أخرجت للناس » أن تفيء لدينها ، وتعود إلى كتابها ، وتعتصم بحبل الله الذى نظم لها مجتمعا فريداً ، اجتمع له من أسباب القوة والتآنق والكرامة والعزة ما يمهد لها سبيل السعادة فى الدنيا والآخرة . وأن تعرف أنها الأمة الوسط بين تلك الأطراف التى تسارع إليها الخلل ، وأنه قد جاء الوقت الذى تظهر فيه آثارها فى خدمة الحق والعدل والسّلام ، وذلك رسالتها ، وواجب من أهم واجباتها نحو الانسانية المعذبة .

ولقد كان فى تلك المحن التى ابتليت بها تلك الأمّة خير منبّه لها لتفيق من غفواتها ، بعد أن أصبح واضحاً أن الشر الذى أصابها ، والآلام التى عانتها مرجعها انقسامها على نفسها ونزاعها الذى حذرها الله مغبته فى قوله «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» وآن أوان نهضتها وبعثها من جديد لتنشر رسالتها ، وتفيض من نورها على العالم الحائر بين الشرق والغرب ، والتخبط فى دياجير الظلام . وتعيدها إلى أصدقائها الذين يدركون منزلتها ، ويقدرون مبادئها ، ويعرفون أمجادها .

وبذلك تستطيع هذه الأمة الوسط أن تعيد مجدها ، وتقوم بدورها فى نصرة الحق والعدل والسلام ؟

بدوى طبانه
الأستاذ بكلية دار العلوم

حول كلمة تصوّف

للدكتور عبد الحليم محمود
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

يروى عن أفلوطين : أنه كان يمتنع عن التحدث فيما يتعلق بشخصه متفرد ، ولو أمكنه أن يلغى سيرته الشخصية من أذهان الناس ، ولو أمكنه أن يلغى اسمه ، لفعل . راضيا مغتبطا ، ذلك أن التسمية ، والجانب الشخصى الفردى فى الإنسان لاقيمة لهما ، إذا نظرنا إلى الآفاق العليا من الروحانية .

ومما يتلاءم مع هذا الاتجاه ، قول بعض الصوفية مامعناه : إن طائفة الصوفية لو تنزهت عن الفردية والشخصية ، لنزههم الله عن التسمية تنزيها مطلقا ، ولكن لما شابت الفردية أعمال بعضهم ، وضع لهم اسم ، واندرجوا تحت عنوان : الصوفية

هذا الاسم الذى أطلق عليهم اختلف فى أصله وفى مصدر اشتقاقه . ولم ينته الرأى فيه إلى نتيجه حاسمة بعد .

ومن أقدم الآراء التى قيلت ، وأطرفها : ما ذكره البيرونى : من أن هذا اللفظ إنما هو تحريف للكلمة : « سوف » اليونانية ، التى تعنى الحكمة . يقول البيرونى عن اليونانيين «ومن كان يرى الوجود الحقيقى للعلة الأولى [illegible] بذاتها فيه وحاجة غيرها إليها ، وأن هو مفتقر فى الوجود إلى غيره فوجودها كالخيال غير حق ، والحق هو الواحد الأول فقط ، وهذا رأى السوفية ، وهم الحكماء ، فإن « سوف » باليونانية الحكمة ، وبها سمى « الفيلسوف » بيلاسويا أى محب الحكمة .

« فلما ذهب فى الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم : سموا باسمهم .

ويرى البيرونى أن التصحيف دخل هذا الاسم بعد ذلك ، فقال : مفسرا ومعللا :

« ولم يعرف اللقب بعضهم ، فنسبهم للتوكل إلى الصفة ، وأنهم أصحابها فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم صحف بعد ذلك فصير : من صوف التيوس . . .

ورأى البيرونى هذا ، على طرافته ، لا يستقيم لسبب بسيط ، وهو أن التسمية بالصوفى كانت موجودة قبل ترجمة الحكمة اليونانية إلى اللغة العربية .

فالبيرونى يقول صراحة : « ولما ذهب فى الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سموا باسمهم » .

ورأى البيرونى ، إذن لا يستقيم ، إلا على أن هذا اللفظ نشأ فى الإسلام بعد أن عرفت الكلمة اليونانية ، وعرف معناها ، وتداولتها الألسنة ، ولاكتها الأفواه ، وألفت معناها العقول ، أى حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى ، على أقل تقدير . مع أن الكلمة عرفت قبل ذلك بكثير ، بل لقد عرفت فى العهد الجاهلى ، على ما يرى صاحب اللمع .

ولكن إذا كان رأى البيرونى لا يستقيم ، فإلى م نتجه فى اشتقاق هذه الكلمة ؟ إن الآراء أصبحت معروفة ، بل لقد كانت معروفة من قديم الزمان ، وصاحب الرسالة القشيرية يستعرضها رأياً ، رأيا ، وينقضها جميعا .

« فأما قول من قال : « إنه من الصوفة » ، وتصوف إذا لبس الصوف ، كما يقال : تقمص إذا لبس القميص ، فذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف .

٢ — ومن قال : إنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله ﷺ ، فالنسبة إلى الصفة لا تجىء على نحو الصوفى .

٣ — ومن قال : إنه من الصفاء ، فاشتقاق الصوفى من الصفاء بعيد فى مقتضى اللغة .

٤ — وقول من قال : إنه مشتق من الصف ، فكأنهم فى الصف الأول بقلوبهم

من حيث المحاضرة من الله تعالى ، فالمعنى صحيح ، ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة إلى الصف .

وإذا كان صاحب الرسالة القشيرية ينتقد كل هذه الآراء ، فإنه إذن ، لا يرى الاشتقاق ، ويقول : « هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة ، فيقال : رجل صوفى ، وللجماعة صوفيه ، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له : متصوف وللجماعة المتصوفه » .

وليس يشهد للاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق ، والأظهر فيه أنه كاللقب » .

لقد استعرضنا الآراء التى قيلت فى هذا الموضوع قديماً ، فهل ، ياترى ، هناك من جديد ؟

ذلك ما سنتحدث عنه فى كلمة تاليه ، إن شاء الله .

عبد الحليم محمود
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

الهيئة الزراعية المصرية

تأسست سنة ١٨٩٨

إلى الزراع :

حقيقة ثابتة أن التسميد الجيد مع مقاومة الآفات والتقاوى المنتقاه يزيد غلة الفدان زيادة كبيرة .

خذ رأى الهيئة الزراعية المصرية فى استعمال الأسمدة ، فهى أول من أدخل الأسمدة الكيماوية ، وعملت على نشرها وأطلعت عملاءها من الأسمدة من وكلائها بالأرياف .

حجة الاسلام الغزالى

يصف الصوفية

« . . . أولئك هم الذين صفت سرائرهم وطهرت ضمائرهم ، وزكت نفوسهم ، وأخلصوا قلوبهم لله ، أولئك هم الذين لا يعرفون كيداً ولا مكرا ، ولا خداعا ولا رياء ، ولا عوجا ولا التواء ، ولا حقدا ولا بغضا ، سيماهم الزاهنع وتجارتهم مع الله مربحة ، لا يعنيهم أن يلتفت الناس إليهم ، شاهدين رغائبين ، قد شغلوا أنفسهم بالعبادة ، وأعرضوا عن زخرف الحياة ، وقنعوا من العيش بالكفاف ، لم تغرهم دنياهم كما غرت غيرهم ، ولم ينغمسوا فى ملذاتها وشهواتها ، كما انغمس سواهم ، وإنما عزفوا عن ذلك راضين مغتبطين ، فنعموا بطاعة الله عز وجل ، وسعدوا برضاء عنهم ، أولئك هم الذين اتخذوا من النبيين قدوة فتخلقوا بأخلاقهم ، وفعلوا ما كانوا يفعلون ، أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ، تعرفهم بقاع الأرض بتقواهم وصلاحهم واستقامتهم ، وتحف بهم ملائكة السماء : أينما ساروا يحفظونهم بأمر الله ، وبهم يكرم الله أرضا ينزلون بها ، فيؤمنهم من خوف ، ويطعمهم من جوع ، ويرحمهم ولا يعذبهم ، أولئك هم أغرب الناس إلى الله منزلة يوم القيامة ، وأولئك هم المفلحون » .

الإسلام في نظر المستشرقين

للدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

تصدى كثير من الباحثين الأوروبيين للإسلام بالبسط والشرح والتحليل والتوجيه والاستنباط ، ولكن عددا غير يسير من أولئك الباحثين قد أذعنوا لسلطة التعصب فاقتادتهم أهواء التحيز إلى طرق ملتوية مليئة بالأشواك ، يزيد بعدها عن العدالة والنزاهة بقدر ما يبعد أولئك العلماء في الخضوع لغاياتهم الخاصة ومنافعهم الفردية .

ولقد أضلت المطامع الحائلة هذا الفريق من المنصفين فجعلوا يتحاملون على الإسلام دون ذنب اقترفه أو جناية جناها ، وأخذوا يتصيدون - للكيد له والحط من شأنه - توافه الأمور التي قد تبدو على ظواهرها للوهلة الأولى أنها هنات ، ولكن التعمق في جميع مناحيها لا يلبث أن يمحو من النفوس ذلك الوهم السطحي السريع .

وأكثر من ذلك أن أولئك القوم ينقمون أحيانا على هذا الدين ما يثبت العقل السليم والمنطق القويم والمقياس الاجتماعي الصحيح أنه مبعث الإنسانية ومصدر سعادتها ، أو أنه هو المنقذ الوحيد لها من وهدتها .

ولا جرم أن هذه الشرذمة من الباحثين قد طبعت في هذا العصر بطابع الاستهانة والإهمال من جميع الذين يحترمون حكم العقل ويوقنون بأن النزاهة هي أولى بالإجلال وأدنى إلى الخلود .

وهناك فريق آخر من العلماء قد عرضوا للإسلام تحدق بهم النزاهة ، ويحف بهم نبل القصد ، ويحدوهم الأمل في الوصول إلى كشف بعض الحقائق المجهولة لدى بيئاتهم ، ولكنهم انزلقوا إلى حضيض الهفوات ، وهووا في سحيق الكبوات رغم نقاء نياتهم ، وسمو غاياتهم . وسر ذلك الإخفاق إما أن يكون هو الجهل بروح اللغة والقصور عن إدراك مراميها ، وإما الاعتماد على مصادر زائفة مليئة بالأباطيل

والأضاليل كما ألمعنا إلى ذلك مرارا .

وأياما كان ، فإن هذا الباحث الذى سنبدأ اليوم هنا ببسط آرائه عن الإسلام ، ونناقشها على ضوء المنطق حينا ، ونتحاكم وإياه فيها إلى التاريخ حينا آخر ، والذى يدعى « دينس سورا الأستاذ فى جامعة لندن ، وهو عالم من أفراد الفريق الأخير الذى ثبت لدينا حسن نيته بهيئة قاطعة ، بعد أن درسنا منتجاته ، وتعقبنا آراءه وأفكاره ، فألفينا أنه ينظر إلى الاسلام بنفس العين التى ينظر بها إلى المسيحية والاسرائيلية ، وأنه يستعمل فى حديثه عن القرآن نفس العبارات والصيغ التى يتحدث بها عن الانجيل والتوراة .

وقصارى القول فى هذا الشأن أنه إذا حاد عن محجة الصـــواب فيما يتعلق بالدين الحنيف ، فإن ذلك يكون من جانبه خطأ لاخبثا ، وجهلا لا شرا .

والآن إليك كيف ينظر إلى الاسلام فى كتابه « تاريخ الأديان »

الذى نشر فى سنة ١٩٣٣ ، ولكن قبل أن نعرض لبسط آراء هذا العالم ينبغى أن نقرر مبدئيا أنه يجب على كل باحث قبل أن يخوض فى شرح مذهب من المذاهب أو فى تحليل آراء عالم من العلماء ، أن يتبين قبل كل شىء المبادىء التى يؤسس عليها ذلك العالم دعائم مذهبه ليسير فى توجيهاته وأحكامه على ضوء المعرفة الصحيحة لما هو بصدده من آراء وأفكار .

ونحن إذا سايرنا هذا الناموس العلمى - ولا بد لنا من مسايرته - فإنه يتحتم علينا أن نسجل هنا أن هذا الباحث يصدر فى آرائه عن مبدأين أساسيين : أولهما أن تاريخ الأديان هو تاريخ لنموتينك الرغبتين البشريتين المتأصلتين فى نفوس أفراد الجنس جميعه ، وهما الحاجة إلى وجود إله ، والحاجة إلى الحياة بعد الموت الدنيوى ؛ وثانى هذين المبدأين : هو أننا الآن فى عصر علمى لايستطيع الناس فيه أن يقبلوا من دون الاله إلا ماتقدم إليهم التجربة والملاحظة الأدلة على صحته .

ونحن إذا قبلنا المبدأ الأول على أنه لازم ركزته الحكمة الالهية فى النفوس البشرية تعدها للتأليه إعدادا فطريا كى يفوق فى متانته جميع الاعدادات الاجتماعية ، لأن

العارض لايرقى فى الكمال إلى درجة المتأصل ، فإن الذى لاريب فيه هو أننا لانستطيع قبول المبدأ الثانى الذى صدر عنه هذا الباحث فى تفكيره ، لأنه ، فيما نرى ، خاطىء من أساسه ، إذ أنه يرمى إلى هدف خطير ، وهو إحلال مايدعوه بالعقل العلمى التجريبى محل العقل الانسانى فى ذاته ، أو العقل من حيث هو . ولا ريب أن هذا الرأى ـ فضلا عن أنه فج سطحى ـ هو إقرار لطغيان العلم التجريبى على كل ماعداه من جوانب الحياة الفكرية والروحية ، وفى هذا من الخطأ مالا يخفى على ذى لب حصيف ، إذ كيف [illegible] من لديه مسكة من العقل ، ذلك الدور الهائل الذى قام به الفكر البشرى [illegible] أثناء هذه الآلاف من السنين التى انسلخت من عمر الزمن قبل أن يرى العلم التجريبى نور الوجود .

أما الرأى المعتدل فى هذا الشأن ، فهو أنه إذا كان العلم التجريبى قد استولى على بعض جوانب العقل الانسانى فإن الذى لامشاحة فيه بحال هو أنه لم يستوعب كل جوانبه ، فضلا عن أنه يمحو كيانه الذاتى الأول ويستبدله بكيان جديد يدعى بالعقل العلمى الذى لايتلقى شيئا آتيا عن أى طريق آخر غير طريق الملاحظة والتجربة . وإنما الحق فى هذه النظرية هو أن الجانب العلمى من جوانب العقل البشرى الذاتى هو ملكة تنشأ فيه وتنمو كغيرها من الملكات ، لأنه كما أن الوجود المطلق أعظم كثيرا من الوجود المحدود الذى يدركه العلم التجريبى ، كذلك العقل المطلق أعظم من الملكة الخاصة بإدراك نتائج الملاحظة والتجربة .

ومهما يكن من شىء فإن الذى يبدو لنا جليا من روح هذا الباحث ، أنه واقعى النزعة ، تجريبى التفكير ، وتلك وجهة نظر تختلف فى أسسها ومراميها مع مبادىء جميع الديانات التى تقرر أن الاله لايناله الحس بحال من الأحوال ، وأنه مع ذلك أثبت الموجودات . وهذا يكفى لأن نعتبره عالما أجنبيا محايدا لا يروقه من الأديان إلا ماتشتمل عليه من مبادى خلقية نافعة ، أو قواعد اجتماعية مفيدة للإنسانية . وإذا كان الاسلام أكثر اشتمالا على هذه المبادىء القويمة ، وتلك الأسس المتينة . فقد كان من الطبيعى أن يظفر

لدى هـــذا النوع من العلماء بأعلى الدرجات ، إلا فى حالة الخطأ التى تحيد بهم عن الصراط المستقيم .

ومن آيات رجحان كفة الاسلام فى نظر أولئك العلماء المحايدين الذين لا يلتفتون إلا إلى الجوانب الخلقية والعمرانية من الدين ، أن هذا الباحث يبدأ حديثه عن الاسلام بقوله : « إن محمدا يكاد يكون هو الوحيد الذى نعرفه عن طريق التاريخ من بين عظماء مؤسسى الأديان ، إذ أن الخرافات لم تستطع أن تخفيه . . . وإن دين مواطنيه إبان ظهوره كان قد هوى إلى أدنى الدركات ، أو قل إنه كان لمما من بقايا عقائد بدائية قد تفككت عندما ارتقت الحياة الاجتماعية فى الأمم التى كانت تدين بها ولم يبق فيها راكدا سوى الدين . ولا غرو فقد كان العرب يعبدون الجن والأرواح التى تقطن الاحجار إلى جانب عدد من آلهة القبائل المختلفة . ولقد محا الاسلام هذا كله ولم يبق منه سوى الحجر الأسود ، فقد ظل فى موطن القداسة الجوهرية ، إذ وضعه محمد تحت حماية الخليل إبراهيم . ومن الممكن أن تكون هذه سياسة قصد بها التوفيق كما يمكن أن يكون ذلك ناشئا من احترام شخصى . . .

ونحن نرى أن هذا الباحث قد بدأ حديثه فى اعتدال واستقامة حينما كان الطريق أمامه واضحا معبدا ، ولكنه عندما وصل إلى الحجر الاسود كان الأفق قد تلبد بقاتم السحب ، فساد الظلام ، وسرعان ماضل صاحبنا الطريق فلم يستطع السير إلى الأمام ، ولا الرجوع إلى الخلف ، فوقف حائر اللب ، خائر القوى يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، ويسلم نفسه للفروض والأوهام ، ويرسل طرفه باحثا عن الممكن تارة ، وعن المحتمل تارة أخرى ، ولكن عذره فى ذلك واضح ، وهو أن الحجر الأسود كاد - فى كثير من المواقف - يكون سببا فى تبلبل عقول بعض المسلمين ، وتزلزل عقائدهم لولا أن فوضوا الأمر فى شأنه إلى فاطر السماوات والأرض ، معلنين أنه حجر لا ينفع ولا يضر ، وأنه من السمعيات التى وجب علينا تنفيذها ، وعزبت عن عقولنا حكمتها . ولا شك أن فى هذا عذرا لا أجنى لا باحثا .

أما الإجابة المطلقة على هذا الاعتراض فهى أن الكمال هو أول مستلزمات

الألوهية ، وأن الكامل لا يتصل بالناقص اتصال رضى ووحى وإلهام واختيار للرسالة ، وهذا يستلزم صدق الرسول وبما أن هذا الرسول الصادق هو الذى أمر بتنفيذ هذا المظهر لأمرما ، وإخفاء حكمته لأمرما كذلك ، وبما أن هذا الأمر يمكن أن يؤول بكل شيء ماعدا الوثنية التى دارت بخلد ذلك المستشرق وأمثاله فإننا نستطيع أن نعلن أنه قديكون هو ما قاله المفسرون . ولا نريد أن نعيده هنا ، وقد يكون شيئا آخر رمزيا يرمى إلى غاية عالية خفيت على المحجوبين واتضحت أمام الملهمين ، وللحديث بقية .

الإمام القشيرى يصف الصوفية

« لقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم وجعل قلوبهم معادن أسراره واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره فهم الغياث للخلق والدائرون فى عموم أحوالهم مع الخلق بالحق . صفاهم من كدورات البشرية ورقاهم إلى مجال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية ، وندبهم للقيام بآداب العبودية ، وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف ، وتحققوا بماله سبحانه من التقليب والتصريف ثم رجعوا إلى الله سبحانه وتعالى بصدق الافتقار ، ونعت الانكسار ، ولم يتكلوا على ماحصل منهم من الأعمال ، أوعلى صفاتهم من الأحوال علماً منهم بأنه جل وعلا يفعل ما يريد ويختار ما يشاء من العبيد .

« ثوابه فضل . وعذابه حكم بعدل . وأمره قضاء فصل »

الوهابية والصوف

للأستاذ أبو الوفا التفتازانى
الأستاذ بجامعة القاهرة

شاع بين الناس الاعتقاد بأن الوهابية ، أتباع محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ هـ — ١٢٠١هـ — ١٧٠٣ م — ١٧٨٧ م) ، هم أعنف خصوم التصوف ، وأن دعوتهم ما قامت إلا من أجل تقويض أركانه وبيان فساد عقيدة منتحليه . وليس ثمة شيء أبعد عن الصواب من هذا الاعتقاد ، فان محمد بن عبد الوهاب وأتباعه قد أقروا التصوف ، وأشادوا بذكر بعض الصوفية ومصنفاتهم ، واعتبروه — فى صورته النقية — منهجا كاملا فى تصفية النفس وتزكية القلب .

وقد يبدو هذا القول غريبا بعض الشيء ، ولكن الواقع يؤيده والنصوص تثبته . وإساءة فهم العلاقة بين مذهب الصوفية ومذهب الوهابية تجيء من أحد أمرين :

الأول : إسراف بعض الوهابيين فى الهجوم على الصوفية بلا دراسة أو فهم للتصوف وأصوله وأهدافه ، واعتقادا منهم بأن التصوف كلـــه باطل ، وهم بهذا يخالفون ماوضعه صاحب دعوتهم نفسه من مبادىء .

الثانى : إسراف بعض الصوفية المقلدين فى الانسياق وراء الشكليات ، ومبالغتهم فى التحدث بمناقب أوليائهم وكراماتهم ، وفى التوسل ، وفى زيارة قبور الصالحين وأضرحتهم ، فاذا ردهم عما هم فيه ناصح أمين ، مبينا لهم آداب الشريعة فى كل هـذا ، سارعوا إلى القول بأنه « وهابى » عدو لأهل الله .

ونحن فى هذا البحث القصير نريد أن نوضح أن محمد بن عبد الوهاب نفسه قد بدأ حياته صوفيا ، ولم ينكر طريقة الصوفية ، كما أنه صرح بأن التوحيد الخالص الذى يدعو إليه

مستمد من بعض مصنفات الصوفية . ونريد كذلك أن نبين أن التصوف المستمد من الكتاب والسنة لا يمكن أن يكون محلا لطعن الوهابية أو لطعن غيرهم ، إذ هو خلاصـــة تعاليم الإسلام ، وهو دعوة إصلاحية تلائم بين حياة الناس فى المجتمع وحياة التعبد الروحية

ولنبدأ بأن نلقى ضوءا على حياة محمد بن عبد الوهاب لنتبين منها كيف ارتبطت حياته منذ حداثة سنه بالتصوف :

يحكى المؤرخون لمحمد بن عبد الوهاب أنه ولد فى عينية سنة ١١١٥ هـ ، ثم درس بعد ذلك فى المدينة على أستاذين هما الشيخ سليمان الكردى والشيخ محمد السندى (المتوفى سنة ١١٥٨ هـ — ١٧٤٥ م) .

وكان أستاذه محمد حياة السندى محدثا مشهورا وصوفيا جليلا منتسبا إلى الطريقة الشاذلية التى أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلى (المتوفى سنة ٦٥٦ هـ) وكان قائما بالدعوة إلى طريق الله فى عصره ، وليس أدل على ذلك من أنه ألف بالمدينة المنورة شرحا على حكم ابن عطاء السكندرى ، الصوفى المصرى المعروف ، وأحد أركان المدرسة الشاذلية .

ومن هنا نرجح القول بأن محمد بن عبد الوهاب قد تأثر بما كان سائدا فى المدينة من تعاليم الصوفية على طريقة الشاذلية ، وبما كان يسمعه من شيخه محمد حياة السنـدى من آداب التصوف .

وبالإضافة إلى هذا فان بعض مؤرخى محمد بن عبد الوهاب يذكرون لنا أنه ذهب إلى أصفهان فى ابتداء حكم نادر شاه (١١٤٨ هـ — ١٧٣٦ م) ، وقيل إنه كان يدرس هناك الفلسفة المشائية لمدة أربع سنوات وكذلك الفلسفه الإشراقيه ومذهب التصوف ، وظـل مدة يظهر للناس اعتناقه لمذهب الصوفيه.

وفوق هذا وذاك فان الأستاذ ماسينيون يذكر لنا أن محمد بن عبد الوهاب قد كتب شرحا على وصية الصوفى شقيق البلخى إلى حاتم الأصم .

ويسمى الوهابيون أنفسهم بالموحدين ، وذلك لأنهم يقيمون عقائدهم على أساس من مذهب السلف ، وكانوا يهدفون إلى الخلاص عن الجدل التقليدى فى العقائد على نحو ما نجده عند المتكلمين والفلاسفة وبعض الصوفية المتفلسفين . وإلى العودة إلى التوحيد الخالص كما كان الشأن فى عهد النبى وصحابته . ولذلك نجدهم يهاجمون فى عنف صوفية الوحدة كابن عربى وابن الفارض ومن نحا نحوهما ، وصوفية الحلول كالحلاج ، وصوفية الاتحاد كالبسطامى ؛ وهم فى هذا مقتدون بابن تيمية (١) .

والواقع أن الوهابية لم يأتوا بجديد فى هذا الشأن ، فقد سبقهم إلى النهى عن الخوض فيما يترتب على الكشف من القول بالوحدة كثير من الصوفية كالشاذلية ، فيقول الشاذلى لمريده « إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف ، وقل لنفسك : إن الله قد ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة ولم يضمنها لى فى جانب الكشف» .

ويقول السيوطى عن موقف التصوف السنى ومنه تصوف الشاذلية من مسألة الوحدة مانصه : « وإذا تأملت كتب المعتبرين كرسالة القشيرى وغيرها ، وكلام الشاذلى ، وكتب الشيخ تاج الدين (ابن عطاء الله السكندرى) لم تجد فيها لفظة من ذلك (يعنى ألفاظ الوحدة المطلقة ، والقول بقدم العالم ، وقدم الأرواح ، وإثبات الهيولى ، مما هو خارج عن ملة الإسلام ، ولا مايشير إلى التصوف على مذهب الفلاسفة كتصوف ابن سينا) وإن وقع فى كلامهم لفظ الوحدة فمرادهم بالتوحيد وانفراد الله بالوجود ولوازم الوجود لا ذلك الذى يريده أولئك .

ويقول ابن عطاء الله السكندرى : « . . . والعلم النافع هو علم المعرفه بالله ؛ ولكن من استرسل باطلاق التوحيد ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف به فى بحر الزندقة ؛

(١) الواقع أن الهجوم على مذاهب هؤلاء الصوفية محفوف بالمخاطر ، ولا يصح فى رأينا أن نهاجم أصحابها مالم نصل إلى ما وصلوا إليه ، وما لم نتذوق ما تذوقوه ؛ فعلومهم ذوق خالص يحصل بالمجاهدة ، وعرفان خاص يحصل بالمشاهدة ، والمهاجمون لهم يصطنعون العقل ومناهجه فى نقدهم ؛ وهو خطأ منهجى منهم .

والشأن أن يكون بالحقيقة مؤيدا وبالشريعة مقيدا » .

والمهم أن محمد بن عبد الوهاب نفسه قد ذكر أن بعض كتب المحققين من الشاذلية قد تضمنت التوحيد الخالص الذى يدعو إليه ؛ ومن هذه الكتب « شرح ابن عباد النفرى الرندى على حكم ابن عطـــاء السكندرى » ؛ وقد عرفنا هذا من كتاب كتبه محمد ابن عبد الوهاب تضمن خلاصة دعوته وعقيدته ؛ ويهاجم فيه التوسل ؛ ويبحث مسألة الشفاعة ؛ وزيارة القبور ؛ وتقديم النذور ؛ وما الى ذلك ؛ ويقول فى نهاية هذا الكتاب مانصه : « . . وندعو الناس الى الصلوات فى الجماعات على الوجه المشروع وايتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ؛ ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر . . . فهذا هو الذى نعتقده وندين الله به ؛ فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم ؛ له مالنا ؛ وعليه ماعلينا ؛ ونعتقد أيضا أن أمة محمـــد صلى الله عليه وسلم ؛ المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة ؛ وأنه لا تزال طائفه من أمته على الحق منصورة ؛ لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك .

«أقول : ان كان كذلك فهذا ماندين الله به نحن أيضا ؛ وهو خلاصه لباب التوحيد وما علينا من المارقين والمتعصبين ؛ وقد بسط الكلام فى ذلك (يعنى فى التوحيد الخالص) ابن القيم فى كتابه « اغاثة اللهفان » ؛ والحافظ المقريزى فى « تجريد التوحيد » ؛ والإمام اليوسى فى « شرح الكبرى » و « شرح الحكم لابن عباد » ، وكتاب « جمع الفضائل وقمع الرذائل ؛ وكتاب « مصايد الشيطان » وغير ذلك . اهـ» ويوافق الوهابية الصوفيه فى كثير من عقائدهم ورياضاتهم العمليه .

(ا) فيوافق الوهابية الصوفية فيما يتعلق برياضة الذكر . ويرونه كذلك وسيلة مقربة إلى الله عزوجل ، وأنه ثابت بالكتاب والسنة ، فيقول عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب مانصه « وأما أحزاب العلماء المنتخبة من الكتاب والسنة فلا مانع من قراءتها والمواظبة عليها ، فان الأذكار ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والاستغفار ، وتلاوة القرآن ، ونحو ذلك مطلوب شرعا ، والمعتنى به مثاب مأجور ، فكلما أكثر منه العبد كان أوفر ثوابا ، لكن على الوجه المشروع دون تقطع ولا تغير ولا تحريف ، وقد قال الله تعالى : « ادعوا ربكم تضرعا وخيفة » . وقال الله تعالى : « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » . ولله در النووى فى حســـن كتاب « الأذكار » ، فعلى الحريص على ذلك به فقيه كفاية للموفق »

(ب) ويوافق الوهابية الصوفية وأهل السنة والجماعة فى إثبات الكرامة للولى ، ويؤمنون

كذلك بما يقول به الصوفية وغيرهم من استجابة الدعاء ، فيقول عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ما نصه : « ولا ننكر كرامات الأولياء ، ونعترف لهم بالحق ، وأنهم على هدى من ربهم مهما ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية ، إلا أنهم (أى الأولياء) لا يستحقون شيئا من أنواع العبادات ، لا حال الحياة ، ولا بعد الممات ، بل يطلب من أحدهم الدعاء حال حيانه ، بل ومن كل مسلم ، فقد جاء فى الحديث : دعاء المرء مستجاب لأخيه »

(ح) وبالجملة ، فان الوهابية لا ينكرون طريق الصوفية ، بدل عليه فى صراحة ووضوح هذا النص : يقول عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : « .. ولا ننكر الطريقة الصوفية ، وتنزيه الباطن عن رذائل المعاصى المتعلقة بالقلب والجوارح مهما استقام صاحبها على القانون الشرعى والمنهج القويم المرعى . إلا أننا لا نتكلف له تأويلا فى كلامه ولا فى أفعاله ، ولا نحول ونستعين ونستنصر فى جميع أمورنا إلا على الله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

ومما سبق كله يتبين لنا فى وضوح وجلاء أن محمد بن عبد الوهاب درس التصوف فى صباه ، واعتنق مذهبه ، وألف فيه ، وأنه كان ضد نوع معين من التصوف ، وأعنى به تصوف الوحدة ، وكان فى هذا متابعا لابن تيمية وأنه كان ميالا إلى التصوف السنى ممثلا فى تصوف الشاذليه ومنهم ابن عطاء الله السكندرى وابن عباد الرندى ، ويتبين كذلك أن الوهابية يوافقون الصوفية فى بعض المسائل الفرعية كالأذكار ، والاعتقاد بكرامات الأولياء ، وأنهم بوجه عام لا ينكرون طريقه الصوفية .

فاذا تبين هذا نقول : إن نقد ابن عبد الوهاب للصوفية ليس نقدا لفكرة التصوف ذاتها وطريقته ، وإنما هو نقد لبعض النظريات الصوفية ، ولبعض طقوس الطرق الصوفية ونقد للتوسل وبناء القباب على القبور ، وزيارة هذه القبور وتعديم النذور ، وما إلى ذلك من الأمور الشكلية التى يمارسها العامة وليست من صميم التصوف فى شىء وقد اتجهت الصوفية فى عهدها الجديد الى محاولة تخليص التصوف مما شابه من شوائب ، وابرازه فى صورته الكاملة النقية التى لا مطعن فيها ولا غبار عليها ، لأنها تصور السمو الروحى فى الإسلام ، وتعبر عن المثل الأعلى للمسلمين ؟

أبو الوفا الغنيمى التفتازانى

المجلة :

الأستاذ التفتازانى ، باحث مدقق ، وصوفى مستنير ، وبحثه الذى نقدمه اليوم يفتح

أبوابا واسعة للتلاقى والتفاهم بين قوتين كبيرتين من قوى الإسلام . الصوفية و الوهابية .

ولكننا نختلف مع الأستاذ التفتازانى كل الاختلاف فى تقسيمه التصوف إلى تصوف سنى . وتصوف وحدة . . فالتصوف الاسلامى على تعدد معارفه والهاماته إنمـــا يستمد وجوده وعلومه وآدابه ورقائقه من القرآن والسنة . وكل من ابتعد عن هذا النبع الربانى فقد ابتعد عن التصوف .

وابن عربى شيخ التصوف الأكبر وابن الفارض شاعر الالهام الأعظم ما كانا يوما من أصحاب الوحدة المادية بل هما من أكبر خصومها .

والحلاج شهيد التصوف الإسلامى عاش حياته محبا فانيا مستغرقا فى المشاهدة والمناجاة . فكيف نقذف فى وجهه بكبيرة الحلول ؟ .

وأبو اليزيد البسطامى شيخ من شيوخ الهدى واليقين . لا يعرف الاتحاد وما إلى الاتحاد من مذاهب فلسفية وغنوصية باطلة وموعدنا فى العدد القادم إن شاء الله مع بيان أوسع و تفصيل أكمل والله يهدى إلى سواء السبيل .

من هم المتقون

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »

تلك كلمات الله المقدسة ، وتعريفاته جل جلاله لمعانى التقوى ، وأنها عمل للدين والدنيا ، لا صور ورسوم ، وجهالات وأزياء فليحاسب كل صوفى ، وكل مسلم نفسه ، وليحاكم أعماله وأقواله إلى تلك الموازين القسط إن أحب أن يكون من الأبرار المتقين .

صفحات ونفحات

للدكتور محمد مصطفى حلمى
أستاذ الفلسفة الاسلامية والتصوف بكلية الآداب جامعة القاهرة

هى صفحات من النثر والنظم جرت على ألسنة أصحابها ، وجرت بهـا أقلامهم ، فأرسلتها ألفاظا وعبارات ولكنها ليست من جنس الألفاظ والعبارات التى يصطنعها الكتاب والشعراء عادة فى التعبير عن أشياء حسية ، وأشخاص بشرية ، وعواطف إنسانية ، وإنما هى صفحات قد فاضت بأروع النفحات الروحية ؛ وأشرقت بأنصع الومضات الإلهيـة ، وعبرت ألفـاظها وعباراتهـا عن أدق الدقائق وأسماها ، وأرق الحقائق وأنقاها ؛ وهى بعد هـذا كله أو قبل هـذا كله مرآة صادقة لما امتلأت به نفوس أصحابها من عواطف شريفة ، ومعارف لطيفة ، ولما تقلبت فيه هـذه النفوس من مقامات وأحوال ، وما كابدت من مشقات وأهوال ، وما حفت به من صفـاء ونقاء ، وما تهيأت له من فيض وإشراق ، وما ظفرت به من سعادة قصوى وبهجة عظمى ، فإذا هى تبدو فى ظاهرها عبارات من النثر وأبياتا من النظم ، ولكنها فى حقيقتها لآلئ منثورة وعقود منظومة ؛ لا يكاد يلم بها من كان له قلب وذوق حتى يأخذه ما تفيض به من رقة وروعة ، ويملك عليه نفسه وقلبه وعقله ما يترقرق بين أعطافها من معانى السحر وأسباب الفتنة ، ثم هو لا يكاد يمضى فى قراءتها ، والإمعان فيما وراءها من المعانى الدقيقة حتى يتبين له أن ما يقرأ إنما هو صفحات قد انطوت على أروع النفحات ، وعبارات قد قصد بها إلى التعبير عن حقائق أدق وأرق ؛ وعن دقائق أشرف والطف ، مما يشتمل عليه عالم الحس بما فيه من مظاهر زائلة ، وأعراض حائلة وما إلى هذه الأعراض وتلك المظاهر من الكائنات المادية والشهوات الحسية والهواجس الباطنية والوساوس النفسية التى ليست فى حقيقتها إلا طائفة من الحجب الكثيفة تحجب الإنسان عن وجه ربه ، وتحول بينه وبين تصفية قلبه .

ولست أعنى بهذه الصفحات التى فاضت بتلك النفحات شيئا آخر غير الآثار الروحية الرائعة التى خلفها الصوفية ؛ وتألف منها صرح التصوف الإسلامى ، وهو هذا الصرح الذى أقيم على دعائم من تصفية النفس ، وتنقية الحس ، وجلاء القلب ، وصفاء الحب والتسامى بالحياة الإنسانية إلى تحقيق المثل العليا ، والتحلى بأسمى ما ينبغى أن يتحلى به الانسان من معرفة الحق وفعل الخير وتذوق الجمال ، بحيث ينتهى فى علمه وعمله ، وفى كل مايصدر عنه من نظرة أو خطرة أو فكرة إلى أسمى مراتب الكمال .

على أن هذه الصفحات والنفحات ، على الرغم مما يشيع فيها من جمال وروعة ، وما تشيعه فى القلب والعقل من جلال ومتعة ، قد منيت بطائفة من أصحاب النفوس المظلمة ، وأرباب القلوب المغلقة ، فنظروا إليها نظرة إزورار عنها ونظروا إلى من أشرقت قلوبهم بأنوار الأنس ، وترقت قلوبهم فى معارج القدس ، على أنهم إنما يصدرون عن أوهام وخيالات ، ويعبرون عن جهالات وضلالات ، وأن ألفاظهم وعباراتهم التى يديرونها بينهم ، لا تدل على شىء له خطر أو فيه غناء ، وهى ان دلت على شىء فإنما تدل على أن أصحابها ليسوا من سلامة النفوس والعقول بحيث يكون لمن يسمعهم أن يصدقهم ، ولقد مضى هؤلاء المنكرون فى إنكارهم ، وذهبوا فيه إلى أبعد الحدود ، فاتهموا أصحاب النفحات الالهية فى دينهم تارة ، وفى خلقهم تارة أخرى وفى غير دينهم وخلقهم أطوارا ، واستعدوا عليهم السلطان حينا ، وأغروا بهم العامة حينا آخر ، وكان من هذا كله ما كان من محن وخطوب تعرض لها أصحاب النفحات ، لا لشىء إلا لأن الذين حكموا عليهم وأثاروا هذه الفتن حولهم كانوا من سوء الفهم بمكان من سوء النية بحيث لم يتهيأ لهم من دقة الحكم وسلامة الذوق وبراءة الغرض الحظ الذى يمكنهم من أن يوغلوا فى الحقائق الخفية ، ويتعرفوا على دقائق المعارف اللدنية .

وليس من شك فى أن المنكرين أو المزورين لو اصطنعوا القصد والاعتدال ، وتجنبوا مزالق الشطط والإسراف ، وفتحوا أعين بصائرهم على هذه الصفحات المنمنمة بالنفحات ، لرأوا ثمرا وجمالا وجلالا وكمالا ، ولتبين لهم أنه الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنه اليقين الذى لا شك فيه ولا غبار عليه ، ولعرفوا أن الصوفية فيما خلفوا من صفحات ، وفيما ورد على قلوبهم من نفحات ، ...

يكونوا مسرفين ولا متطرفين ، ولم يكونوا واهمين ولا محرفين ، ولم تكن ألفاظهم وعباراتهم خلوا من المعنى ، وإنما هي على العكس من هذا كله لطائف ومعارف ، وحقائق ودقائق ، وأخلاق وأذواق ، وألوان من النور وضروب من الإشراق ، فيها رياضة ومجاهدة ، وكشف ومشاهدة ، وفيها تهذيب وتأديب ، وترغيب وترهيب ، وفيها فوق هذا كله استقاء من كتاب الله وسنة رسوله ، واقتداء بحياة نبي الإسلام ، ودعاء إلى مادعا إليه من حب وإخاء وسلام ، وهي لهذا كله ومن أجل هذا كله خليقة بأن نقف منها موقف الدراسين لها المقبلين عليها ، الذائقين لمعانيها ، المتعرفين لحقيقة أغراضها ومراميها ، العاملين على إظهار ما تنطوي عليه وترمي إليه من أسمى معاني الحق والخير والجمال ، وكل أولئك معان لو عملنا على إبرازها ، وأخذنا أنفسنا بها ، ودعونا غيرنا اليها ، لأدينا واجبنا العلمي والروحي كأحسن ما يؤدى الواجب من مسلم نحو اخوانه المسلمين من ناحية ، ونحو تراثه الروحي الاسلامي من ناحية أخرى .

وإذا كان ذلك كذلك فأنا أرجو مخلصا أن أوفق إلى الابانة عن كل هذه المعاني فيما سأقف عنده من صفحات الصوفية المشرقة ونفحاتهم المتألقة في وقفات مقبلة .

محمد مصطفى حلمي

إلى السادة المشتركين

« ترجو إدارة المجلة من السادة المشتركين الذين لم يصلهم العدد الأول التفضل باخطارها عن الرقم الخاص باشتراكهم لتتمكن الادارة من بين الأعداد الفوري .

الإسلام والتصوف

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الطنيخي
عضو جماعة كبار العلماء

هو دين الفطرة السليمة والمبادىء القويمة . يدعو إليه العقل إذا استقام على منهاج سليم من التفكير والنظر الصحيح إلى أسرار هذا الكون ، وخصائص الوجود ، ورأس سنامه الوحدانية المطلقة من كل قيد لله بارىء الكون خالق الخلق تستنطق الوحدانية ، وتفرده كل معالم هذا الوجود لا تعقيد فيه ولا لبس ولا يحتاج إلى الدليل إلى القضايا المعقدة ، والنظريات الفلسفية لأنه منطق المخلوقات جميعا تنطق به حاجاتها إليه وتدل عليه فى تطورها وجوداً وعدما فهو دين البدء الذى ينظر إلى السماء ونجومها والفلاة ومعالمها ودين العالم الذى يرى بعلمه عقله ويربط بين الموجودات بعضها ببعض . ويقيس الأشياء على نظائرها . فيخرج من علمه مؤمناً بوحدانية خالق الكون الذى لا شريك له سبحانه وهو كذلك دين التصوف الذى يغلب عليه الروحانية والتأمل فى أسرار النفس الإنسانية والنظر إلى ماوراء هذه المحسات والمشاهدات والسمو بالروح فى عالم يحاول به أن يتصل بالملأ الأعلى وسر النفس الإنسانية فهو إذ يتعبد به المؤمن لربه ويرى أن الكمال فى الاتصال به ينبغى هذه العبادات وسائل لطهارة نفسه وخلوصها من شوائب المادة التى ترتكس بالإنسان إلى مهاوى الموبقات وزخرفها .

قال ابن خلدون فى مقدمته « التصوف من العلوم الشرعية وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه . والانفراد عن الخلق إلى الخلق فى الخلوة للعبادة (يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) وقد كان ذلك شائعاً فى الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح . ولما عم الاقبال على الدنيا فى صدر القرن الثانى وما بعده . وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا . اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية أو المتصوفة

والصوفية لايكنزون ذهباً ولا حطبا . ولا يدعون نسباً ولا حسبا . وإنما عملهم كما بين القرآن : إن أكرم الناس عندالله أتقاهم ، إذاسمع الواحد منهم آية ربه تذكره وتنذره صغرت الدنيا فى عينيه وصغر متاعها ، ومن فيها حتى ملوكها وهانوا ، وهاهو أحدهم فى مسجده يدخل عليه ملك البلاد ، فيقول : ألك حاجة ؟ فيجيبه أستحى أن أسأل فى بيت مولاى غيره ، فوكزه فقضى عليه . بهذه الإجابة الناطقة بأن الصوفى لايسأل غير الله ، ولا يشهد غير طاعته وحبه . ذلك لأنه باع نفسه لله ليؤدى البر المفروض . ويدرك الشرف المخلد (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وأدب الصوفى ينبعث من نفسه كما ينبعث صوت البلبل الغريد عن نفسه وهو دائماً الهائم فى حبه يغنى به .

إن قلبه مستودع الذخائر وبرهان ربه منه حاضر ، نظر إلى الناس فوجدهم يقولون :

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة يواسيك أو يسليك أو يتـــوجع

لا يتنفس بالآهة أو الأنة ، بل يكظم مرضه إن مرض فلا يترجم عنه شىء . فإذا سئل فى ذلك قال :

ويمنعنى من الشكوى إلى الناس أننى عليل ومن أشكو إليه عليـــــل
ويمنعـــــنى الشكوى إلى الله أنه عليم بمـــــا أرجو وما سأقول

عمى السميع إلا فى الأسحار والناس نيام يحب الله ويخشاه ، ويرهبه ويرجوه . وقد سئل جلال ما بال الصوفية أحسن الناس وجوهاً فقال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره . والصوفى دائماً يعبد الله وغايته رضاه ناظراً لقول الله تعالى : (يريدون وجهه) يحتقر نفسه وينظر إلى هذا المعنى الدقيق ، قيل إنه كان فى بنى إسرائيل رجل عابد مجتهد وكانوا يفضلونه على أنفسهم فى وقته ، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن قل لفلان سيدنى ما شاء فهو من أهل النار ، فاخبر بنى إسرائيل بذلك فتعجبوا وقالوا ليس فيما يرتضه من الدنيا والجاه فعلى أى شىء كان ذلك وإذا بالوحى قد أتى [illegible]

فلما جن الليل تطهر وصلى ركعتين وقال : اللهم إنى كنت أعبدك ولست عند نفسى أهلا لشىء ، والآن وقد منت على وجعلتنى أهلا لنارك فوعزتك لازال هذا مقامى بين يديك حتى لقاك . فلما أصبح من الغد جاء إلى سيدنا موسى عليه السلام فقال له عليه السلام : إن الله قد أوحى إلى أن قل لفلان يفعل ما يشاء فهو من أهل الجنة لازدرائه لنفسه .

اللهم إنى أشهدك وأنت خير الشاهدين أن هذا من خلق الصوفى الذى عاش مع الله وفى الله ولله إن شاء أجاعه وأظمأه وإن شاء أطعمه ورواه . . .

محمد محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير الوعظ والارشاد

كن مع الله

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوماً فقال لى :

«ياغلام ، انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله تعالى لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله تعالى عليك ، وقال : احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا »

عند محراب الصـــلاة

للأستاذ على عبد العظيم

عند محراب الصلاة فنيت فى الله ذاتى
وانطوى ماضى وآتى واستوت كل الجهات
وتلاشت نزواتى

طهرت نفسى وجسمى وسما حسى وفهمى
ونمـــــا بالله علمى وغدا نور حياتى

عند محراب الصلاة

أذن الداعى ، وكبر هاتفا : « الله أكبر »
فزكا قلبى وأزهر عامرا بالنفحـــات

عند محراب الصلاة

لك يارب دعائى فى صباحى ومسائى
لك موفـور الثناء وحياتى ومـــــاتى

عند محراب الصلاة

لك صحوى وهجودى وركوعى وسجودى
وقيامى وقعـودى وثنـائى وشكائى

عند محراب الصلاة

طالما فاضت دموعى فى خضوع وخشوع
لك يا خير سميع فتقبل دعـواتى

عند محراب الصلاة

رب كن للمسلمين خير غوث ومعين
وانصر الوادى الأمين واحنا بالمرحمات

عند محراب الصلاة

من مناهج التصوف

الذكر

« ولذكر الله أكبر »
قرآن كريم

التصوف صلة دائمة بالله ، وأساس هذه الصلة . هو ذكر الله جل جلاله ذكرا دائما بالقلب واللسان والمراقبة والأعمال .

ومن هذا الذكر استمد المتصوفة حياتهم الروحية العلية . إنهم أبدا على صلة وعودة بفاطر السموات والأرضين ، لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . تتجافى جنوبهم عن المضاجع غراما وهياما ، ويبيتون لربهم سجدا وقياما ، السنتهم أبدا رطبة بذكر الله ، وقلوبهم عامرة بحبه ، وأرواحهم تسبح فى أنواره ، ورحمته تلهمهم وترشدهم وتفيض عليهم من أنسه ونعيمه وفتوحاته

وفى الحديث القدسى « . . من ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه » رواه البخارى ومسلم

وروى الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم فى مستدركه والبيهقى عن أبى الدرداء عن معاذ عن النبى ﷺ قال : قال رسول الله صلوات الله عليه : « ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند ملككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من انفاق الذهب والفضة ؟ قالوا بلى يارسول الله : قال : ذكر الله عز وجل »

ويقول الامام ابن القيم : « . . الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التى يثمر إليها السالكون ، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر ، وكلما عظمت تلك الشجرة ، ورسخ أصلها ، كان اعظم لثمرتها ، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد . ويقول

[illegible] رأس الاصول ، ومن جملة الطائفة [illegible] باب الدخول على الله [illegible] الذكر

مايريد ، فإن وجد ربه عز وجل ، وجد كل شيء ، وإن فاته ربه عز وجل ، فاته كل شيء ،

تلك لمحة عن مقام الذكر عند الله ، ومقامه من المنهج الصوفي ، ولكن ما هي حقيقة الذكر . وما هي صورته التي يرضى عنها الله سبحانه ، صورته التي اختصت بتلك المكانة العالية .

إن الذكر الذي يحبه الله ، وتهبط له الملائكة أجنحتها ، وتفتات به وتحيا عليه ، هو الذي تتجلى آثاره على جوارح صاحبه وحركاته وأعماله ومنهجه في السلوك العام

إن المراد بالذكر ، هو أن يتعلق الذاكر بالاسم الذي يذكر به ، وأن تتطهر روحه بمعانيه ، ويزكو قلبه بمعناه ، وتعلو على أعماله بإشراقاته وإلهاماته

فإذا ذكر الذاكر كلمة « الله » أمتلأ قلبه إيمانا بالله الواحد الأحد ، الذي ليس كمثله شيء ، القادر القوي القاهر فوق عباده ، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير

إذا امتلأ القلب بتلك الكلمة ، تجلى الإيمان على العبد ، فلا يرهب إلا الله ، ولا يجل إلا الله ، ولا يقرب المحرمات ، ولا يتهاون في عبادة أو طاعة .

إن الله يرى ، والذاكر يذكر الله الذي يراه ، فيجب أن يكون حيث يحب أن يراه الله ، كمالا وخلقا وأدبا وإيمانا ومروءة ونجدة ، ووفاء وكرما وسماحة وطهرا .

وإذا ذكر الذاكر صفة الرحمن ، فإن عليه أن يتخلق بخلق الرحمن ، يجب أن يتحلى بالرحمة العامة الشاملة ، يرحم أسرته ، ويرحم إخوانه ويرحم زملاءه ، يرحم المسلمين ، يرحم الناس كافة ، بل يرحم كل ذي كبد رطب من إنسان وحيوان

يرحمهم بخلقه وبعمله وبماله وبجاهه وقوته ، يرحمهم بالعون وبالمساعدة والنجدة والإيثار .

وهكذا ... الذكر ... يكون الذكر ذكرا ...

يقول ابن عطاء الله السكندرى : « وكل عمل صالح فهو ذكر لله . فالمتفقه ذاكر : والمدرس ذاكر ، والمفتى ذاكر ، والمتفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وآياته فى أرضه وسماواته ذاكر ، والممتثل ما أمر الله به ، والمنتهى عما نهى عنه ذاكر ، وقد يكون الذكر باللسان ، وقد يكون بالجنان . وقد يكون بأعضاء الإنسان . وقد يكون بالإعلان والجهر . والجامع لذلك كله ذاكر كامل »

كل عمل صالح فهو ذكر لله . فالحاكم عندما يعدل فى حكمه فهو ذاكر لله . والجندى عندما يفتدى بروحه وطنه . فهو ذاكر لله . والتاجر حينما يستعصم بالأمانة وبالصدق . فهو ذاكر لله

جاء فى الحديث القدسى : « إن عبدى كل عبدى . هو الذى يذكرنى وهو ملاق قرنه — أى خصمه — ويقول سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »

لجنة نشر الأصول الصوفية

تصدر قريبا

كتاب الرعاية لحقوق الله عز وجل

للإمام الصوفى الكبير الحارث المحاسبى

موسوعة صوفية كبرى . وأصل عظيم جليل من أصول التصوف وعمده

حققه وقدم له وعلق عليه

الأستاذان الدكتور عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقى سرور

بتأييد وتشجيع من فضيلة الأستاذ

الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف

الناشر : مكتبة دار الكتب الحديثة — ١٤ شارع الجمهورية بالقاهرة

المسلمون هم أعز هذا الكون
وخير خلق الله

أول سطر فى كتاب الإسلام ، هو سطر التوحيد

« لا إله إلا الله . . . »

ولا إله إلا الله . ليست كلمة تقال . وإنما هى حقيقة تحيا فى قلب كل مسلم كامل الإيمان ، حقيقة تشرق فى القلوب فتملؤها ، أن الخير والشر بيد الله ، وأن القوة والنصر من عنده ، وأن لا شىء فى الوجود إلا بأمره .

وإذن فالمسلم لايخشى سوى خالقه ، ولا يأبه لغير مولاه ، ولايرهب سواه وبتلك العقيدة الربانية عاش المسلم حراً كريماً صريحاً جريئا لايرهب جباراً لقوته ، ولا يخشى بأس طاغية ، ولا يتزلف لصاحب جاه أو سلطان ، ولا يتق فى الحق لومة لائم ، لأنه يؤمن بأن الله جل جلاله هو القوة العليا ، وهو تبارك وتعالى الفعال لما يشاء ويريد ، فالزلفى إنما تكون له ، والخشية منه ، والخشوع فى محاربه ، والسجود فى صلواته .

وبتلك العقيدة الربانية أصبحت الحرية فى الإسلام أوسع حرية عرفها البشر : حرية تتضاءل حيالها حريات الثورة الفرنسية المزعومة وتتخاذل أمامها مواثيق تحرير الإنسان المدعاة . لأنها حرية شاملة ارتبطت بعقيدة مقدسة ، بل لقد غدت هذه الحرية لدى المسلم فريضة ربانية ، هى قوام الإسلام وروحه ومبناه ومعناه .

فليس بمسلم من خشى غير الله . وليس بمسلم من أذله الطغيان . أو استعبده الاستعمار ، أو ذهب بحريته بطش الباطشين ، وصولة الصائلين أيا كانت قوتهم وأيا كان جبروتهم .

فلا إله إلا الله هى بحق وثيقة التحرير الكبرى للإنسانية كافة ، بل هى أكبر

هتاف عرفته البشرية لتحرير الإنسان من عبودية الإنسان .

يقول رسول الله صلوات الله عليه : يا ابن عباس انتبه لما يلقى إليك واحفظه ، لو اجتمع الإنس والجن على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولو اجتمع الإنس والجن على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله لك ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ذلك هو النبع المتدفق فى قلب كل مسلم ، ومن هذا النبع نشأت العزة الإسلامية فالعزة الإسلامية قرينة وتبع للوحدانية الربانية . ولهذا كان الرسول صلوات الله عليه يقـــول لأصحابه إياكم والشرك الخفى ، قالوا وما الشرك الخفى يا رسول الله ؟ قال دقيق الرياء . . ؟

والمسلم هو خليفة الله على أرضه ، لأنه القائم بدعوته ، المكلف بهداية الكون وقيادته ، والمسلم هو السيد المنتصر لأنه من حزب الله ، وحزب الله هو الغالب الفائز ، والمسلم حليف الله يمده ويؤيده أم تقاتل معه الملائكة ، أم تؤيده عناصر الطبيعة ؟ ، إذن فالمسلم هو من يشعر دائماً بأنه مع الله وأن الله معه ، وهل هناك عزة فى الوجود أعلى أو أغلى من هذه العزة .

فهم المسلمون فى صدر الإسلام هذه المعانى فهما قلبياً وجدانيا ، ففهموا أنهم حزب الله وخلفاء الله وحلفاء الله ، فتخلقوا بأنوار تلك المعانى ، وترفعوا عما سواها ، واندفعوا إلى الدنيا هداة فاتحين فى جوانبهم قوى معنوية لا تعرف إلا النصر ، قوى ظاهرها الإيمان والعزة واليقين المطلق .

« سأل قيصر أحد قواده : كيف انهزمت قواتك المدربة القوية أمام هؤلاء العرب الحفاة العراة فقال :

« يا مولاى ، كان كل جندى معى يؤمن بالهزيمة فانهزمنا ، وكان كل مسلم يؤمن بالنصر فانتصروا »

وسئل جندى بسلاحه : كيف انتصرتم على الفرس والروم وهم أكثر منكم عدة وأوفر عدة وأحسن سلاحا ؟ فقال :

« انتصرنا لأن الواحد منا إذا رأى سهماً منطلقا إلى صدر أخيه الواقف إلى جانبه: قفز من مكانه ووقف أمامه يتلقى عنه السهم ، فكان كل منا يبيع حياته ليشترى حياة أخيه » .

وانهزم أعداؤنا لأن الواحد منهم إذا رأى سهماً متجها عليه قفز من مكانه ليختبىء وراء جاره فكان كل منهم يبيع حياة أخيه ليشترى حياته .

وصاح رجل فى يوم اليرموك ما أكثر الروم ، وأقل المسلمين ؛ فهتف خالد ابن الوليد « ما أقل الروم وأكثر المسلمين ؛ إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان .

وسئل الصديق عن سر انتصار المسلمين وفتوحاتهم ؛ فقال : إن السر شىء وقر فى الصدور من هذا الدين .

أجل ، أنه شىء وقر فى الصدور من هذا الدين ؛ وهل هناك مايوضح هذا الشىء الربانى الذى وقر فى صدور المسلمين من تلك القصة الملهمة المؤمنة ، قصة عبادة ابن الصامت مع المقوقس حاكم مصر ونائب الرومان .

وتبدأ القصة يوم توجه الفاتح الإسلامى عمرو بن العاص لفتح مصر على رأس أربعة آلاف من الجند الإسلامى وهو حادث فذ فى التاريخ لا مثيل له فى الصحف العسكرية ؛ مصر الكبيرة المنيعة المدججة بالسلاح ، العامرة بجند الرومان وأبطالهم ودهاة قوادهم يهاجمها بغية الاستيلاء عليها أربعة آلاف جندى من بجاهيل الصحراء ! .

إنها لمعجزة والتاريخ العسكرى للإسلام عامر بالمعجزات الزاخر بالأمجاد والمفاخر طرق عمرو أبواب مصر ، وطوق حصن بابليون وأذاق الرومان باس الأسلحة الإسلامية فأرسل إليه المقوقس يطلب منه أن يرسل رجلا من قادة الجيش للمفاوضة .

واستجاب عمرو فأرسل للمقوقس البطل الإسلامى « عبادة بن الصامت » وهو عملاق أسود ، ولكن الإسلام لا يعرف ألوان ولا الجنسيات ، ولا يعترف بسادة وعبيد .

واخترق عبادة بجواده مواكب الرومان حتى وصل إلى باب المقوقس فترجل

وأبى أن يؤخذ منه السلاح . قائلا إننا فى دار حرب فلا نترك السلاح أبداً .

ودخل عبادة على المقوقس ، وهو يتوكأ على رمحه رافع الرأس شامخ الأنف ورأى المقوقس ما فى الرسول القادم من عزة وكرامة فأراد أن ينال منه ، فلم يشر بإجلاسه . وأحس عبادة بالأمر ، فمضى قدماً حتى جلس بجوار المقوقس على عرشه وتواثب الجند يريدون انزاله فقال لهم : إننا نؤمن بدين ، هو دين الأحرار ، دين لا يعرف إلا المساواة ولا يقر التفاضل حتى أننا كما نجلس مع نبينا كما يجلس بعضنا إلى بعض ، وهكذا نحن مع خليفته ، أما أنتم فقد تقسمتم سادة وعبيداً ، وضربتم على كثرتكم بالذل والهوان ، وعلى كل فلنأخذ فيما جئت من أجله ، ماذا تريدون منا ؟ .

وتكلم المقوقس بلغة الدبلوماسى الداهية فقال : « لم يكن عندنا أذل منكم معشر العرب ولا أهون شأنا ولهذا عجبنا أن جئتم إلى بلادنا فى هذا العدد القليل والعدة الضعيفة ، وان أنتم إلا صولة يوم وجولة ساعة ، إذا أرسلنا عليكم جنودنا أولى البأس الشديد والعدد الكثير والعدة الضخمة ، ولكننا رأفة بكم ورحمة منا سنعفو عنكم ونعقد معكم صلحاً بعد أن نعطى لكل قائد ولكل جندى مايسره ويرضيه .

وضحك عبادة طويلا ، فقال له المقوقس : عجبا ! أأضحكتك أم أرعبتك؟ قال كلا ، لقد أضحكتنى وسررتنى لأننا منكم على إحدى الحسنيين فقد ذكرت لى عددكم وعددكم وأموالكم وأسلحتكم فإذا انتصرنا ظفرنا بكل هذا وإن ظفرتم بنا كان هذا عذراً لنا عند ربنا وفزنا بالاستشهاد والجنة وهى لعمر الحق أحب الحسنيين إلينا ، إننا الفائزون، إما النصر أو الشهادة ، قال المقوقس : هذا عزم من السماء ، لا يلين ولا يقهر .

إن عزم المسلم من إرادة ومن نور السماء ، فهو عزم لا يلين ولا ينثنى ولا يقهر أبداً . . . اليست العزة لله ، ولرسوله وللمؤمنين .

وبعد : وخطابى هذا أوجهه إلى أربعمائة مليون مسلم ، هل آمنا حقا بلا إله إلا الله وهى السطر الأول فى كتاب الإسلام ؟؟ . .

إن الدين عند الله الإسلام

للدكتور محمد وصفي

قال تعالى : إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد (٣ : ١٩ ، ٢٠) .

١ — نوح يدعو إلى الاسلام :

واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ، فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين (١٠ : ٧١ ، ٧٢) .

٢ — إبراهيم يدعو إلى الإسلام :

وإن من شيعته لإبراهيم (٧ : ٨٣) ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين (٢ : ١٣٠ ، ١٣١) .

٣ — لوط يدعو إلى الإسلام .

فآمن له لوط (٢٩ : ٢٦) ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين . إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون (٢٩ : ٣٣ ، ٣٤) فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (٥١ : ٣٥ ، ٣٦)

٤ – اسماعيل يدعو إلى الاسلام :

وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (٢ : ١٢٧ ، ١٢٨) .

٥ – يعقوب يدعو إلى الاسلام :

ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون (٢ : ١٣٢) .

٦ – أولاد يعقوب يدعون إلى الاسلام :

أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى ، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق إلها واحداً ونحن له مسلمون (٢ : ١٣٣)

٧ – يوسف يدين بالاسلام :

لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين (١٢ : ٧) . . . فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين (١٢ : ٩٩) رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين (١٢ : ١٠١) .

٨ – موسى يدعو الى الاسلام :

وقال موسى يافوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين (١٠ : ٨٤) وألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون . . . ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين (٧ : ١٢٠ – ١٢٦) وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أن لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين (١٠ : ٩٠) .

٩ — أنبياء بنى اسرائيل يدعون إلى الاسلام :

إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء . . . (٥ : ٤٤)

١٠ — داود وسليمان يدعوان الى الاسلام :

وورث سليمان داود . . وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون . وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . . . فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . . إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . . . قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت يأيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم . إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلو على واتونى مسلمين . . قال يأيها الملأ أيكم يأتنى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين . . فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كانه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين . . . قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير ، قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (٢٧ : ١٦ - ٤٤)

١١ — عيسى بن مريم يدعو الى الاسلام :

وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين (٥ : ٤٦) ورسولا إلى بنى إسرائيل . . . فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون (٣ : ٤٩ - ٥٢)

وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأنا مسلمون (٥ : ١١١)

وهكذا ترى الاسلام الدين العالمى العام الذى ارتضاه الله للبشرية وفرض على سكان هذه المعمورة منذ بدء الخليقة إلى انتهاء الكون ، فهو النور الذى يضيء لنا ظلمات هذه الحياة الدنيا . والشريعة التى تضمن للانسانية سعادتها وتؤهل متبعيها للحياة الطيبة فى الدار الآخرة : من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا (٤ : ١٣٤)

دكتور محمد وصفى

نقدم لك

الطريقة الرفاعية

إمام الطريقة الرفاعية
السيد أحمـــد الرفاعى

« والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا »

هو أبو العباس أحمد بن على بن أحمد بن يحيى الرفاعى البطائحى يصعد نسبه إلى أشرف الأنساب وأعلاها . إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

عاشت أسرته ردحا من الزمن باشبيلية بالأندلس ثم هاجر جده السيد أحمد إلى العراق واستوطن بلدة أم عبيدة ، وعاش بها سيدا وجيها شريفا ، له مكانته وعلمه .

السيد محمود كامل يس
شيخ السادة الرفاعية بالجمهورية

ثم أنجب ابنه على الفقيه ، العابد . الذى كان يلقب فى العراق لوجاهته وعلمه : بالسيد السلطان على : وكان الخليفة العباسى المسترشد بالله يستشيره ويعمل برأيه وينزله من نفسه المكان الأعلى .

وأنجب السيد على ابنه أحمد فى مطلع عام ٥١٢ للهجرة : ثم انتقل السيد على إلى الرفيق الأعلى وابنه لم يتجاوز السابعة من عمره فكفله خاله العلامة أبو بكر الواسطى الذى يرتفع نسبه إلى الصحابى الجليل زيد الأنصارى .

وانتقل به خاله إلى بلدته (نهر دقلى) من أعمال واسط ، وعهد بتعليمه إلى الفقيه الزاهد شيخ واسط وفقيهها الشيخ على أبى الفضل الواسطى المعروف بابن القارىء القرشى، فتلقى عنه علوم الشريعة . ثم تتلمذ لصفوة من علماء واسط ، حتى برع فى العلوم العقلية والنقلية ، ومهر واشتهر ، وعرف عنه أول ما عرف التسامى الخلقى والنهج الصوفى ، والتطوع الدائم للذكر والعبادة ، كأنما تعده العناية لرسالة وغاية .

يقول السيد أحمد : «مررت وأنا صغير على الشيخ العارف بالله تعالى عبد الملك الخرتوتى فأوصانى فقال :

«ملتفت لا يصل ، ومتسلل لا يفلح ، ومن لم يعرف من نفسه النقصان ، فكل أوقاته نقصان ، فخرجت من عنده ، وجعلت أكررها سنة ، ثم رجعت إليه ، فقلت له ، أوصنى فقال :

ما أقبح الجهل بالألباء ، والعلة بالأطباء ، والجفاء بالأحباء ، ثم خرجت وجعلت أرددها سنة فكانت فتحا » .

وهذا نهج فى التربية والمعرفة لا تستطيع مدرسة فى الدنيا أن تنهجه الا مدرسة الصوفية فكل كلمة من تلك الكلمات العالية قاعدة للحياة ومعراج من معاريج الوصول .

« ملتفت لا يصل » لأن الطريق إلى الله ، طريق شوق وحب وكمال ، فمن التفت إلى خارج حدود الطريق ، ضل هدفه ، وتشعبت به السبل .

ومن تسلل إلى الطريق الربانى بدون شيخ ومرشد ، التوى قصده ، وتلقفه التيه المضل ، ومن ظن بنفسه الكمال فكل أوقاته نقصان .

المنهج الصوفى

. . . . واعلم يقينا أيها المريد الصادق ، أن هذا العلم أفضل ما بذلت فى تحصيله الحياة ، وأهلكت فى طلبه الأوقات .

إذ هو زبدة الشريعة ولبها ، ودعامة الديانات وقلبها ، وكيف لا ، وهو التوحيد الخالص الناشىء عن إيقان وعيان ، وذوق ووجدان » .

أحمد الرفاعى

عاشت تلك الكلمات الحية ، المشعة بالنور والهدى فى قلب أحمد فأشرق بها واستضاء ، وتذوق رحيقها ، وارتوى بمعانيها فأقبل على الطريق ، وأخذ العهد من الإمام ابن القارىء

وسلك أحمد طريقه إلى ربه يظلله إيمان ساطع غلاب ، ويحدوه ذوق وشوق ، وتميزه مثالية إيمانية ، وطهارة خلقية ، قل مثيلها بين الأئمة الهداة .

كان شعار السيد أحمد رضى الله عليه . هو الحب ، الحب الذى ملأ قلبه وروحه ووجدانه وآفاق حياته .

كان فانيا فى محبة مولاه وسيده مبدع الكائنات ومسيد الوجود ، ظاهره وباطنه .

ومن هذا الحب انبثق حبه للناس جميعا ، بل حبه لكل حى من إنسان وحيوان ، بل حبه للكون كله ، فالكون عنـــد المتصوفة ليس مادة ، وليس جمادا ، بل هو كائن حى مدرك له إحساسه وشعوره ، كما له إيمانه وتسبيحه : «ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض ، والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه » .

وروى الترمذى عن على ابن أبى طالب قال : كنت مع رسول الله بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا حجر إلا وهو يقول ، السلام عليك يارسول الله » .

ويقول حجة الإسلام الغزالى : إن الإنسان ليس عليه أن يساعـــد الإنسان والحيوان فحسب ، بل عليه أن يمد يده بالخير إلى كل شىء ، فيساعد النبات فى نموه والماء فى جريانه ، فيزيل العقبات من امام هذا وذاك » .

ويقـــول العالم الأمريكى « لوثر بربنيك » : إن تهذيب

من أوراد الرفاعية

اللهم إنى أسألك من النعمة تمامها . ومن العصمة دوامها : ومن الرحمة شمولها . ومن العافية حصولها . ومن العيش أرغده . ومن العمر أسعده . ومن الاحسان أتمه . ومن النعام أعمه . ومن الفضل أجزله . ومن المطلب أجله . اللهم كن لنـــا ولا تكن علينا . اللهم اختم بالسعادة آجالنا . وحقق بالزيادة آمالنا . واقرن بالعافية غدونا وآصالنا . واجعل الى رحمتك مصيرنا ومآلنا . واصبب سجال عفوك على ذنوبنا . وجد علينا باصلاح عيوبنا . واجعـــل التقوى زادنا . وفى دينك اجتهادنا . وعليك توكلنا واعتمادنا : والى رضوانك معادنا . اللهم ثبتنا على نهج الاستقامة . وأعذنا فى الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة . اللهم خفف عنا ثقل الأوزار . وارزقنا عيشة الابرار . واكفنا شر الأشرار . وأعتق رقابنا ورقاب أبنائنا وأمهاتنا واخواننا من النار . ياعزيز ياغفار . ياكريم ياستار ياحليم ياجبار يا أله يا أله يا أله اللهم أرنى الحق حقا وارزقنى اتباعه . وأرنى الباطل باطلا وارزقنى اجتنابه . ولا تجعل على متشابها فأتبع الهوى . اللهم إنى أعوذ بك أن أموت فى طلب الدنيا . برحمتك ياأرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

النبات مسألة محبة وإقناع ، وليست تجربة علمية ، وبراعة صناعية فحسب .

ثم يتحدث عن شجرة الصبار التى نجح فى تجريدها من الشوك فيقول : إنه أقنع الصبار بأن سلاح الشوك فضول لا حاجة إليه ، وأن الحماية مكفولة له بغير هذا السلاح » .

أما العالم الهندى « جافاريس » فقد ابتدع آلات راصدة تسجل تجـــاربه على أعصاب الشجر والحجر وتريك رأى العين أنها تنفعل بالمخدرات ، كما تنفعل بالصدمات والاساءات »

ولقد ضربنا هذه الأمثال للناس ، لنبين لهم . أن ميراث الرفاعية من إمامهم الأول . السيد أحمد الرفاعى فى ترويض الأفاعى ، والهيمنة عليها وكف شرها وأذاها ، ليس خرافة ولا بدعة ، إنما حقيقة شامخة ، وثيقة الصلة بالإيمان ، ووثيقة الصلة بالعلم ، قديمه وحديثه ، العلم بمدلوله الروحى ، وبمعناه المادى معاً .

ونعود فنقول ، أتم السيد أحمـــد رضوان الله عليه تنقلاته فى الأحوال والمقامات ، والإحاطة بالرقائق والدقائق ، ومناهج الطريق حتى بلغ ذروتها العليا ، فلما آن أوان إمامته وخلافته ، انتقل خاله وشيخه الشيخ منصور فى عام ٥٤٠ هـ إلى جوار مولاه رحالقه ، بعد أن عهد بمشيخة الشيوخ ، وبمشيخة الأروقه المباركة إليه .

ودوى اسم السيد أحمد فى الآفاق ، وارتفع قدره ، وسطع فضله ، وهرع إليه الناس من كل حدب ، وأصبح إمام العراق وسيده .

يقول الإمام جمال الدين الخطيب : « ليس على وجه الأرض فى هذا العصر من مجلس فى علم الحقيقة ولباب الشريعة ، يرده الوارد وتحصل به الفوائد ، مثل مجلس السيد أحمد بن الرفاعى فانه مدرسة العلماء ، ورباط الفقراء ، وروضة السالكين ، ومحجة العارفين » .

ثم يقول : « ولقد تتلمذ له خلائق لا يحصون فى كل بلد وقطر ، منهم الأئمة والأعيان ، ولم يكن فى مدن المسلمين مكان يخلو من زاوية أو موضع برسمهم .

ويقول العلامة شمس الدين بن الجوزى : « قال لى بعض شيوخنا : حضرت عند السيد أحمد الرفاعى ليلة نصف شعبان وعنده نحو عشرة آلاف إنسان يطلبون دعاءه ويلتمسون بركته »

وكان رضوان الله عليه ، كشأن المتصوفة جميعا ، قائماً بكلمة الحق لا يخشى فيها لومة لائم يصرح بها الأشهاد ، ويبلغها إلى الناس سواء عنده العامة والبسطاء ، أو الملوك والأمراء .

يرسل إليه الخليفة العباسى المستنجد بالله ، يستنصحه فيرسل إليه السيد أحمد كلمات لا يقولها إلا الصفوة الهداة من عباد الله :

« أما بعـــد . . من الفقير إلى الله تعالى أحمد بن على أبى الحسن ، إلى الخليفة أمير المؤمنين أبى أحمد المستنجد بالله العباسى الهاشمى »

يا أمير المؤمنين :

« إن أنت أنفدت أحكام الله تعالى فى نفسك ، نفذت أحكام كتبك فى ما تحكم . وإن عظمت أمر الله ، عظم الناس عمالك وولاة الأمور من قبلك . . ثم زن يا أمير المؤمنين كل ما يصل إلى خويصة نفسك فى هذه الدنيا من طعام تأكله وشراب تشربه ولباس ترتديه واجعل الشره على الدنيا بقدر ذلك ، فإن رداءك ما ستر بدنك وطعامك ما أشبعك ، وما لك ما أنفقت . . . وعليك بأهل العقل والدين ، وإياك وأرباب القسوة والغدر والضلال ، فهم أعداؤك ، وإذا أحببت فحكم الانصاف فى عملك ، وإذا كرهت فاذكر الله ، والخطأ فى العفو خير من الخطأ فى العقوبة ، وساو الناس برا وفاجراً ، مؤمناً وكافراً ، فى باب عفوك »

تلك القوة الإيمانية الهادية العالية . هى التى أهلته لحب الله وحب رسوله . وأهلته لتلك اللفتة المباركة التى اختص بها .

روى الإمام أبو الفرج الواسطى قال : « حج السيد أحمد الرفاعى عام ٥٥٥ هـ فلما وصل المدينة وتشرف بزيارة جده ﷺ وقف تجاه الحجرة الشريفة ووقفنا خلف ظهره . فقال : السلام عليك يا جدى ، فقال له ، وعليك السلام يا ولدى ، فتواجد لهذه النفحة وقال منشدا

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها ... تقبل الأرض عنى فهى نائبتى
وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فمد له رسول الله ﷺ يده الشريفة من قبره الكريم فقبلها فى ملأ يقرب من تسعين ألف رجل »

تلك رواية شاهد ثقة . . ومعجزاته ﷺ لا تنقطع عن هذا الكون ولا عن أمته حياً ومنتقلا .

وقد ورد فى الحديث الصحيح « . . صلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم » ويقول صلى الله عليه وسلم « من صلى على صلاة واحدة كتب له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ورددت عليه أنا وملائكة ربى » ويقول صلوات الله عليه : « مامن أحد يسلم على إلا رد الله إلى روحى فأسلم عليه » .

ورضوان الله على السيد الإمام الرفاعى إذ يقول : « طريق دين بلا بدعة ، وهمة بلا كسل ، وعمل بلا رياء ، وقلب بلا شغل ، ونفس بلا شهوة »

وذلك منهج فى الإيمان وفى المعرفة وفى السلوك لا يطاول ولا يظفر به إلا الصفوة المختارة من المؤمنين العابدين .

ولقد ورث أتباع الرفاعى وخلفاؤه ، منهجه وحاله ، ونالتهم بركاته ونفحاته . وتخلقوا بخلقه المثالى الرفيع . فانتشرت طريقتهم فى مشارق الأرض ومغاربها ، وغدت منارة ومحجة لمئات الملايين ، عبر القرون والسنين .

ففى كل بقعة من بقاع العروبة والإسلام ، لهم شعبة ومقام ، وهاد يرشد الناس ويأخذ بأيديهم إلى مناطق النور والإيمان .

ويتولى مشيخة الطريقة الرفاعية اليوم فى الجمهورية العربية المتحدة . الأستاذ الفاضل محمود كامل يس . حفيد الشيخ وخليفته .. وإن فى خلق محمود وأدبه وإنسانيته ، لعطراً من جده ، وبريقاً من إمامه ؟

طه عبد الباقى سرور

تقول ريحانة بيت النبوة السيدة نفيسة . فى التسليم لله

فى أمور تكون أو لا تكون ... لم تنم أعين ونامت عيون
إن الذى كفاك ما كان بالأمـ ... ـس سيكفيك فى غد ما يكون

وفى الحب الإلهى يقول شيخنا الأكبر محيى الدين بن عربى

ذبت اشتياقاً ووجداً فى محبتكم ... فآه من طول شوقى آه من كمدى
يدى وضعت على قلبى مخافة أن ... يشق صدرى لما خاننى جلدى
ما زال رفعها طوراً وخفضها ... حتى وضعت يدى الأخرى تشد يدى

ويقول المحب الشهيد الحلاج

وأى أرض تخلو منك حتى ... تعالوا يطلبونك فى السماء

ندوة الإســـلام والتصوف

اجتمعت ندوة الإسلام والتصوف الشهرية فى مساء يوم الاثنين الموافق ٣٠ من شوال عام ١٣٧٧ هـ — ١٩ مايو عام ١٩٥٨ م بدار المشيخة العامة للطرق الصوفية .

وقد حضرها الأساتذة . . . محمد محمود علوان ، الدكتور عبد الحليم محمود ، الدكتور محمد وصفى ، ابراهيم سلامة الراضى ، لبيب البوهى ، سلامة نويتو ، حيفى الساكت ، طه عبد الباقى سرور .

وافتتح الندوة سماحة السيد محمد علوان بكلمة طيبة رحب فيها بالسادة المجتمعين وهنأهم بظهور مجلة الإسلام والتصوف التى ستحمل لأول مرة فى تاريخ الفكر والصحافة رسالة التصوف وتنطق باسم مشيخته .

ثم عرض الأستاذ طه عبد الباقى سرور ، موضوع الندوة . وهو :

« هل التصوف الإسلامى ، يدعو إلى الزهد والعزلة والسلبية ، أم هو ، قوة إيجابية لها أثرها وتوجيهها ، فى حياة الفرد والجماعة والأمة الإسلامية .

واقترح الدكتور محمد وصفى . أن تبحث الندوة العلمية أيضاً . موقف التصوف ورأى شيوخه فى المعرفة الباطنية أو العلوم اللدنية ، نظراً لأهمية البحث وخطورته ، وتعدد الآراء حياله ، ووافق المجتمعون على اقتراح سيادته ، على أن تبدأ الندوة بفكرة التصوف : بين الإيجابية والسلبية :

الأستاذ لبيب البوهى .

أرجو أن تدور المناقشة أولا حول معانى كلمة « التصوف » وعلى هذا الأساس . تحدد رأيه فى الحياة . سلبية أم إيجابية . ؟

سماحة السيد علوان :

التصوف بمعناه الحقيقى ، كما شاهدناه عند أئمته وقادته وشيوخه ، هو جهادلتحرير النفس من أهوائها ونزواتها ، وتحرير الإنسان من ربقة الخوف والذل . . أو بمعنى أعم هو جهاد الكمال فى كل عمل من أعمال الدنيا ، وفى كل عبادة من عبادات الآخرة .

الدكتور وصفى :

الذى أشار إليه السيد شيخ المشايخ من تعريف التصوف يطابق تعاليم الدين والشريعة كما وردت فى الكتاب والسنة ، ولكن هناك وجهاً آخر من وجوه التصوف ، يحبّل صاحبه تكاليف فى العبادة ، والخلوة تدعو إلى تصفية الإنسان لروحه صفاء خالصاً يعلو به إلى مرتبة نكاد نلمحها فى التكاليف الثقيلة المتعارف عليها بين رجال التصوف ، حتى تجرى على يديه خوارق العادات ، وقد أولع الناس بهذا اللون ، واقتصر فهمهم للتصوف على ذلك المعنى .

سماحة السيد علوان :

لافارق إطلاقاً بين الإسلام والتصوف ، والامام الجنيد وهو سيد الطائفة يقول: « طريقنا قائم على الكتاب والسنة وخدمة الأمة » والصوفى لا يعتزل الدنيا ، وإنما الخلوة والاعتكاف فترة من الحياة للتزود والتطهر ، كما كان يفعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وهو الصوفى الأول ، فى غار حراء ، وكما كان يفعل عليه الصلاة والسلام فى رمضان وقد ورد فى الحديث الشريف الصحيح : « كان رسول الله إذا أقبل العشر الأواخر من رمضان اعتكف قومه ، وشد مئزره وأيقظ أهله » كان يفعل هذا وهو المجاهد المناضل الذى حمل أعباء الرسالة وغير وجه الدنيا بدعوته وكفاحه .

فالصوفى يعبد الله ويتهجد لله ويذكره آناء الليل وأطراف النهار ، ليتزود من كل ذلك بالقوة التى تعينه على النضال والتفوق ، والهيمنة على الحياة .

ولقد وصف الله تبارك وتعالى المهاجرين والأنصار الذين حملوا راية الدعوة وملئوا الدنيا جهادا ونضالا وعملا صالحا بقوله « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » وقوله « كانوا قليلا من الليل مايهجعون » .

الأستاذ طه عبد الباقى سرور :

مسألة الخوارق والكرامات . التى أشار إليها الدكتور وصفى ليست من عناوين التصوف ، ولا من أهدافه وأغراضه ورسالاته .

ولقد كان أئمتنا وكبار شيوخنا من السلف الصالح ، لايقيمون لها وزنا ، ويعتبرونها من البروق التى تأتى فى البداية للتمكين حينا ، وللاستدارج أحيانا ، حتى ليصفها شيخ التصوف الأكبر الإمام محيى الدين بن عربى : بأنها أشبه بالألعاب التى تلقى إلى الأطفال لايتلفت اليها الرجال ، ولايقف عندها أهل المعرفة ، ولاينشدها ولا يرغب فيها من يبغى وجه الله سبحانه وحده لاشريك له .

والكرامة الحقة عند المتصوفة ، هى الكرامة التى يضفيها الله سبحانه على عبده علامة على الحب والرضا ، لتحفظ عليه حاله ومقامه بتوفيقه للطاعة والعبادة والقيام بفرائض دينه ، وقواعد طريقه وآداب سلوكه .

وأضيف إلى هذا أن الكرامة أو الخارقة ، ليست دليلا من أدلة الشرع ، وليست منهجا من مناهج التصوف ، فالخوارق عادة تصاحب الرياضات الروحية على اختلاف ألوانها وصورها سواء كانت رياضة صالحة نقية ، كرياضة التصوف ، أو رياضة روحية فكرية ، كرياضة الهنود وبعض الطوائف التى تنتسب إلى ما يقارب هذا المذهب ويشابهه .

وحجة الإسلام الغزالى يقول : « إذا رأيت إنسانا يطير فى الهواء ، أو يسبح فى الماء ، ويتعاطى أمرا يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان » .

الأستاذ سلامة نويتو :

يعيب بعض الناس على المتصوفة زهدهم وقناعتهم وتواكلهم وعدم تطلعهم إلى القوة

والتفوق . مما لا يصلح للحياة الحاضرة بما فيها من صراع وتوائب .

سماحة السيد علوان :

الزهد فى التصوف . ليس هو الزهد المتخاذل الضعيف الذى يثب إلى أذهان الناس اليوم .

بل هو زهد بعد امتلاك ، أو كما يقول المتصوفة : أن تمتلىء يداك بالمال ، ويخلو قلبك من حبه ، فالصوفى لا يستعبده مال ولا جاه ولا متاع . قد يكون من أصحاب المال والمتاع والجاه وكثيرا ما كان . ولكنه مال ومتاع وجاه خاضع للصوفى مسخّر له .. لا سيد ولا حاكم عليه . يبذل فى سبيله كرامته ودينه، والرسول صلوات الله عليه يقول : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة » .

والتصوف ، توكل على الله ، لا تواكل ، وشتان بين الكلمتين والمعنيين ، والإمام الغزالى يقول : «الأسباب ظواهر تلازم الشىء وليست هى علته» أى أن الفاعل الحقيق هو الله سبحانه لا الأسباب الظاهرة .

فالصوفى يعمل ويسعى لأن العمل والسعى واجبان وسنتان من سنن الكون .. ولكنه لا يعتقد أنهما سبب ما يصل إليه بل يؤمن بالله المهيمن على كل شىء . وهو معنى دقيق . ظن به من لم يعرف التصوف الظنون ، حتى نسب أربابه إلى التواكل الخامل القانع ، وهم أكثر الناس براءة منه ، وبعدا عنه .

الأستاذ لبيب البوهى :

الزهد الصوفى . كما أفهمه ، هو عدم الخضوع للطيبات ، والنبى صلى الله عليه وسلم كان أزهد الناس فى الحياة ، وكان فى الوقت نفسه ، يقرن الفقر بالكفر .

ورسالة التصوف . أن يحقق الصوفى كمال العبودية ، ومن كمالها القدرة مع الزهد ، والقدرة مع العفو ، والقدرة مع البذل والإنفاق . لأن الصوفى دائما أبداً فى مقام الإحسان : اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : والصوفى يحب أن يراه ربه ، حيث يرضى عنه

الدكتور عبد الحليم محمود :

التصوف الإسلامى ، منهج فكرى ، وسلوك عملى ، وهو كفكرة ، ثقافة روحية عالية ، تسمو فوق كل الثقافات المادية ، لأنه يحتويها ، ويضيف إليها من إشراقاته وإلهاماته وإيمانه مايحولها إلى العلم النافع ، والمعرفة الصالحة .

وهو كسلوك عملى ، لون من الوان التربية لم تر الدنيا ما يسامقه طهرا وخلقا وإنسانية ، ولم تشهد الحياة مايطاوله فى إمداد النفس البشرية بالقوة على الكفاح ، والقدرة على التفوق ، لأن الإنسان ، إذا ملك شهوات نفسه ، وأطلق أنوار قلبه ، ومشى على الصراط المستقيم من أوامر ربه غدا قوة إيجابية فعالة مؤثرة فى كل شىء ، ومن هنا كان التصوف الإسلامى ، تصوفا عمليّا بكل ماتتسع له هذه الكلمة من صـــور ومعان .

الأستاذ ابراهيم سلامة الراضى :

إن العالم الإسلامى لم ينزل من مكانته العالية ، من قيادة الإنسانية وخلافة الأرض ، إلا يوم أن عبد الدينار ، وخضع للترف والشهوات ، لقد كان سيدا ، يوم أن كان لاشىء فى الدنيا يغريه ويفتنه ويضله عن واجبه ، وعن دينه ، وعن وطنه ، يوم أن كان زهده أكبر من مطامعه ، فلما أن غلبت مطامعه وشهواته على زهده ، أدبر مجده ، وتولى بأسه ، وفقد منابع القوة والعزم وإراده الحياة ، وصدق الله « إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

وانتهى اجتماع الندوة على أن تعقد باذن الله فى الساعة الثامنة من مساء يوم الأربعاء ١٨ من يونيو عام ١٩٥٨ لبحث رأى التصوف فى العلم الباطنى . والمعارف اللدنية .

الخلاصـــة

والخلاصة . . . أن التصوف الإسلامى ، قوة إيجابية ، من أعظم القوى البانية فى المحيط الإسلامى ، وعلى أسس أخلاقه ومثالياته شيدت الأمة الاسلامية فى ماضيها تفوقها ومجدها . . .

فى الأفق الصوفى

. . . ما كاد سماحة السيد محمد محمود علوان يتولى رياسة مشيخة الطرق الصوفية حتى نهض للعمل السريع الحاسم . ، لحماية التصوف الإسلامى مما ألحق به أو دس عليه .

وكان فى طليعة أعماله الموفقة رسائله إلى الجهات الرسمية لمحاربة البدع والتقاليد الضارة فى موالد أولياء الله بما يشوه جلال الذكرى . وينال من أنوار تلك المواسم الدينية الجليلة .

وقد استجابت حكومة الثورة لندائه . وبذلت جهدها المشكور لحماية الدين وأوليائه .

ونحن ننشرها خطاب وزارة الداخلية التى لبت فيه مطالب المشيخة وأرسلته إلى المحافظات والمديريات لتنفيذه .

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الداخلية
مصلحة الإدارة العامه
قلم السكرتارية
٤١ - ١ - ٢٧

كتاب رقم ٢٠
مراعاة إحاطة الاحتفالات بموالد أولياء الله بما يليق بأصحاب الذكرى من وقار ومنع البدع والمنكرات والأفعال الفاضحة.

السيد ،

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد

فانا فى وقت قد تضافرت فيه كل الجهود للنهوض بالبلاد فى جميع النواحى والعمل على رفع مستوى نشاط الفرد للوصول بالمجتمع الى درجة من الرقى تمشى ونهضة البلاد فى هذا العهد المبارك .

ولما كانت الاحتفالات التى تقام عند إحياء موالد أولياء الله هى من ضمن المناسبات التى

يظهر فيها أفراد الشعب ما انطوى عليه من رقى وتقدم فى حياته الاجتماعيه والخلقية فضلا عن المظهر الدينى الذى هو أساس لمـــا يجرى فى هذه الاحتفالات من أفعال ومراسم كان السلف الصالح يجرى فيها على ما يرقع من شأن صاحب الذكرى ، ويصون ما للدين الاسلامى الحنيف من عزة ورفعة وإجلال .

ولما كان البسطاء والجهلاء والمدعون قد اتخذوا من هذه المناسبات وسيلة للتكسب غير الشريف ، ولاستجداء وابتزاز أموال الناس وإذاعة المزاعم الباطلة التى يلصقونها بالدين الحنيف وهو براء منها - مما جعل ما يجرى فى هـذه الاحتفالات وصمة فى جبين الاسـلام والمسلمين .

وبمناسبة الاحتفـــال بمولد السيدة زينب رضى الله عنها - قامت مشيخة الطرق الصوفية العامة بتشكيل لجنة من بعض السادة مشايخ الطرق الصوفية تتولى المرور على ساحة المولد لمنع مايشوب الاحتفال ويشوهه من البدع والمنكرات - كما أذاعت المشيخة نشرة على السادة المشايخ ووكلائهم بالمديريات والمراكز فى هذا الشأن .

وطلبت مشيخة الطرق الصوفية إلى الوزارة أن يعمل رجال البوليس على منع ما يرتكب خلال الاحتفالات من بدع ومنكرات .

ولما كانت وزارة الداخلية يهمها أن يكون العمل إيجابيا والجهد مثمرا لوضع حد لمـــا يرتكب أثناء الاحتفالات بالموالد - وأن يكون الاحتفال محفوفا بالجلال والوقار اللائقين بهذه المناسبات .

وبعد عرض الموضوع على السيد الوزير — أمر سيادته باذاعة التعليمات لمنع العاب الميسر والخلاعة وضرب الجسم بالسلاح وأكل الحشرات وارتداء الازياء الغريبة وتواجد النساء فى حلقات الذكر أو بالقرب منها

فرجو التنبيه بمراعاة تنفيذ ذلك بكل دقة .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

وكيل وزارة الداخلية

وزارة الداخلية
مصلحة الادارة العامة
قلم السكرتارية

ملف رقم : ٤١/١/٢٧

كتاب دورى رقم ٣٧
بشأن الرجوع إلى مشيخة الطرق الصوفية قبل التصريح بسير المواكب عند الاحتفال بالموالد

السيد

إلحاقا بكتاب الوزارة الدورى السرى رقم ٢٥ المؤرخ ٨ فبراير سنة ١٩٥٨ بشأن مراعاة إحاطة الاحتفالات بموالد أولياء الله بما يليق بأصحاب الذكرى من وقار ومنع البدع والمنكرات .

نفيد أن مشيخة الطرق الصوفية ذكرت بخطابها المؤرخ ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٨ أن الجهات المختصة ترخص بسير بعض المواكب أثناء الاحتفال بموالد الأولياء . وطلبت هذه المشيخة استطلاع رأيها قبل الترخيص بسير هذه المواكب .

ولما كانت بعض المواكب التى ترخص المحافظات والمديريات بسيرها قد لا ينبغى الموافقة عليها لعدم جدارة صاحب المولد أو عدم أحقية من ينتسبون إليه أو قد يقع من القائمين عليها بعض الأفعال التى نوهت الوزارة بمنعها مما قد يسيء إلى سمعة البلاد .

وحيث إنه بعرض الموضوع على السيد الوزير — وافق سيادته على أن يستطلع رأى مشيخة الطرق الصوفية قبل التصريح بسير المواكب حتى يمكنها ابداء الترخيص بها ثم الاشراف عليها وتوجيهها .

لذلك نرجو التنبيه على المختصين بضرورة الرجوع إلى المشيخة قبل إصدار التراخيص الخاصة بسير المواكب .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

وكيل الداخلية

١٢ مايو سنة ١٩٥٨

أخبار صـــوفية

* كتبت مشيخة الطرق الصوفية إلى السفارات العربية والإسلامية بالجمهورية العربية لموافاتها بأسماء وعناوين الجمعيات الدينية وكبار رجال الفكر والدين فى شعوبها للاتصال بهم وارسال صحيفة الاسلام والتصوف اليهم . حتى يمكن قيام رابطة روحية عملية بين رجالات العالم الاسلامى وعلمائه وأئمته فى مختلف بلدانهم .

* تكونت فى مشيخة الطرق الصوفيه لجان . للتربية الروحية . . . وللاتصال بالعالم الاسلامى ، وللدراسات الثقافية

* تفكر المشيخة فى إصـــدار سلسلة من الكتب الشهرية تبين للناس فيها مناهج التصوف ، ومدارسه ، وأعلامه ورسالته فى الدين والأخلاق والتربية الوطنية

* سننشر فى العدد القادم إن شاء الله رحلة سماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفيه وصحبه إلى الصعيد بكلماتها وصورها كما سننشر ملخصا وافيا لاحتفالات المشيخة بشهر رمضان وبعض كلماتها واخبارها وصورها

وكيل المشيخة

بمركز ســيدى سالم

أصدر سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية قراراً بتعيين الأستاذ الفاضل السيد فهمى محمد المغازى وكيلا للمشيخة بمركز سيدى سالم

الهيئة الزراعية المصرية

تأسست سنة ١٨٩٧

أيها الزارع .

لاتتوان فى مقاومة الآفات فى حقلك . استشر الهيئة الزراعية المصرية فى أحدث طرق مقاومة هذه الآفات فهى تمدك بالارشادات وتمدك بالكيماويات والآلات التى تحتاج المقاومة اليها بالسعر المناسب فالهيئة لا تستهدف الربح الكبير .

اكتب الى الهيئة الزراعية المصرية بالعنوان : ص . ب . ٦٣ القاهرة

الهيئة الزراعية المصرية

تأسست سنة ١٨٩٨

« ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »

حديث شريف

ان الهيئة الزراعية تساعدك على اتقان زراعتك فيزيد دخلك ويرضى عنك ربك . فاطلب منها التقاوى اللازمة لزراعاتك فهى تعدها لك وتعاونك بارشاداتها .

اطلب من الهيئة الزراعية المصرية بالعنوان ص . ب ٦٣ القاهرة

الشركة الفنية للاعمال

شركة ذات مسئولية محـــدودة

مهندسون ومقاولون

الإداره : ١٣ شارع عبد الخالق ثروت
بالقاهرة

س . ت ٩٠٤٣٦ — تليفون رقم
س . و . ت ٧٠٢ — ٥٤١٠٠
٤٥٩٩٦

خطات توليد الكهرباء . مشروعات وأجهزة تنقية مياه الشرب والمياه الصناعية . أجهزة كهربائية ومحولات . أجهزة قياس الغاز والكهرباء . ماكينات ديزل وقاطرات . أجهزة لاسلكية والكترونية . كابلات معزولة وغير معزولة . منتجات الأسمنت الإسبستوس . ومواسير وألواح . دراسات المشاريع الكبرى للسدود وري الأراضي .

شركة الورق الأهلية

شركة مساهمة مصرية

تأسست سنة ١٩٣٤

مقر الشركة :

الإسكندرية
٤٤ شارع سعد زغلول
ت ٤٢٩٢٢

القاهرة
١٩ شارع عدلي
ت ٥٢٦٣٤

المصنع
محطة الطابية ت ٩١٣٠

- تقوم المصنع بإنتاج أصناف مختلفة من الورق والكرتون
- ويقدر قيمة الإنتاج السنوي بحوالي مليون جنيه مصري
- وتعمل الشركة على زيادة الإنتاج وتسويعه مما يوفر على البلاد العملات الصعبة .

راجع صفحة ٥٠٠

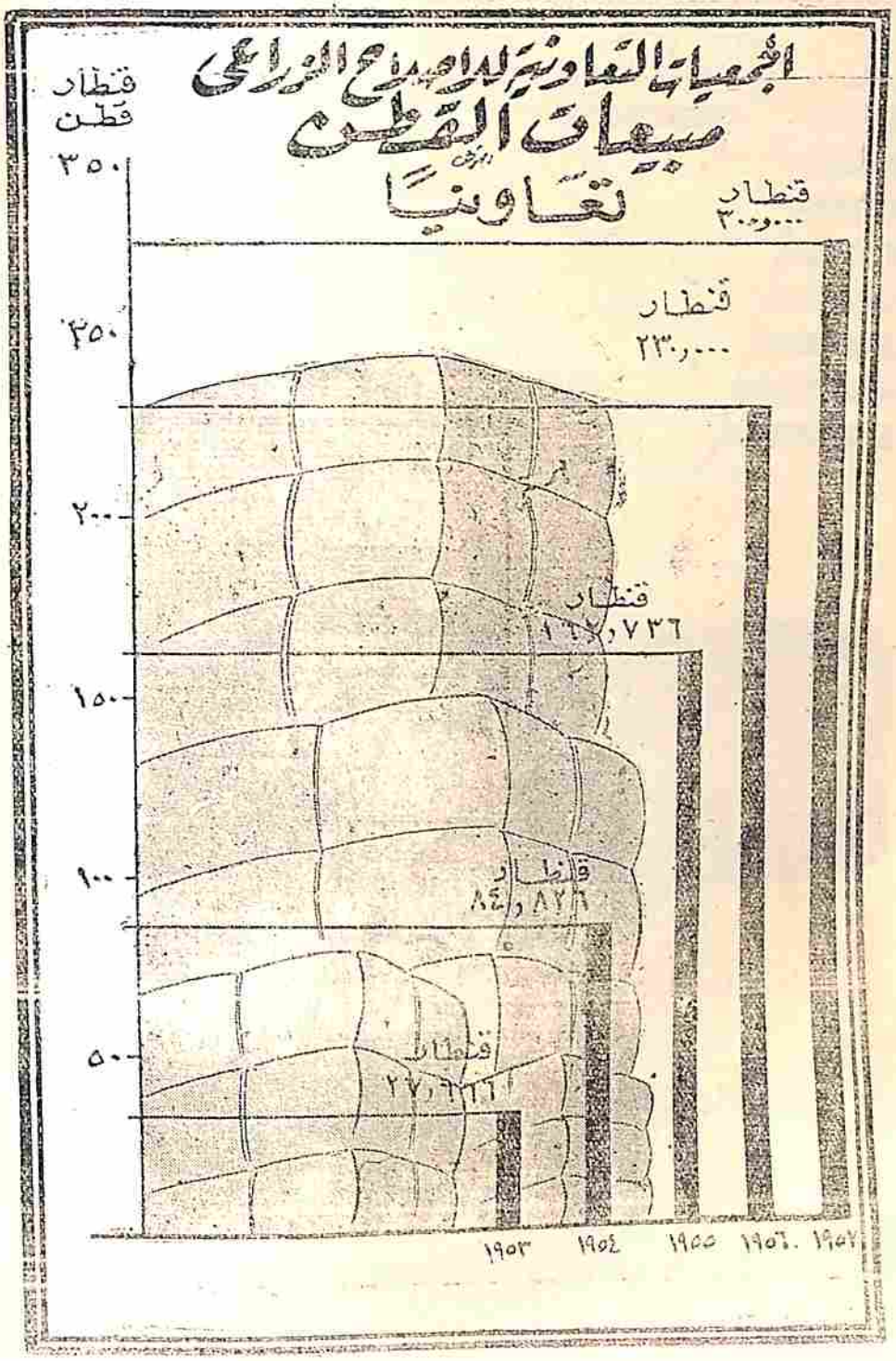
اتجاهات التعاون الزراعي
مبيعات القطن
بالأرض
تعاونيا
قنطار قطن
٣٥٠
٣٠٠
٢٥٠
٢٠٠
١٥٠
١٠٠
٥٠
قنطار ٣٠٠,٠٠٠
قنطار ٢٣٠,٠٠٠
قنطار ١٦٢,٧٣٦
قنطار ٨٤,٨٢٦
قنطار ٢٧,٦٦٢
١٩٥٣
١٩٥٤
١٩٥٥
١٩٥٦
١٩٥٧